Al-Daleel
مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

# Religious Thought in the Age of Globalization: Between Tradition and Modernity

**Ali Al-Asadi**
Assistant Professor in the Department of Jurisprudence and Islamic Studies, Al-Mustafa International University, Iraq.
E-mail: ALIALASADI1966@gmail.com

## Abstract

Cultural globalization marks a turning point in the global intellectual struggle of mankind, as it represents a broad and rapid effort to reorganize the world according to new intellectual foundations and ideologies that seek to replace previous ones. This makes preserving cultural identity a major challenge for all nations, particularly for the Islamic identity, which is also vulnerable to this challenge. The ongoing struggle within religious thought to maintain its authentic identity is both a genuine movement to protect that identity and a potential starting point for establishing an Islamic globalization that seeks to build a larger global society. Islamic thought inherently carries the idea of creating such an Islamic form of globalization through the Islamization of human thought. This article attempts to clarify the topic by using descriptive, analytical, and occasionally critical methods to demonstrate the invalidity of Western globalization and its unsuitability to govern the world. The critique argues that Western globalization serves narrow interests, seeks control by a specific group, and drives humanity towards subjugation and destruction. The study ultimately concludes that religious thought, particularly Islamic thought, holds the potential to serve as the true foundation for Islamic intellectual globalization, with the capacity to become not just globally influential thought, but a globalizing force in itself.

**Keywords**: Religious thought, Globalization, Capitalism, Cultural identity, Islamization of thought.

---

Al-Daleel, 2024, Vol. 7, No. 25, PP. 93-127

Received: 11/07/2024; Accepted: 14/08/2024

Publisher: Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

©the author(s)

# الفكر الديني في عصر العولمة بين الموروث والمتجدّد

**علي الأسدي**

أستاذ مساعد في قسم الفقه والمعارف الإسلامية، جامعة المصطفى العالمية، العراق.

البريد الإلكتروني: ALIALASADI1966@gmail.com

## الخلاصة

تشكّل العولمة الثقافية نقطة تحوّل في الصراع الدائر على الساحة الدولية بين البشرية جمعاء في مجالها الفكري؛ لأنّها تمثّل الانطلاقة الواسعة والسريعة لترتيب هذا العالم على وفق المباني الجديدة للمجتمعات وبحسب الأيديولوجيات المقترحة التي أريد لها أن تكون البديلة عن غيرها، فأصبح الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمعات في خضمّ هذا التحدّي من أصعب المخاطر التي تواجهها الأمم، وخصوصًا الهوية الإسلامية. كما أنّ الصراع الذي يخوضه الفكر الديني للحفاظ على هويته الأصيلة يمثّل حركةً حقيقيةً للحفاظ على هذه الهوية، ويشكّل إنطلاقة لتأسيس عولمة إسلامية تأخذ على عاتقها بناء المجتمع العالمي الكبير، خصوصًا أنّ الفكر الإسلامي يحمل في طيّاته فكرة إقامة العولمة الإسلامية من خلال أسلمة الفكر البشري، وقد حاولنا في هذا المقال توضيح الموضوع من خلال اتّباع المنهج الوصفي والتحليلي، وكذلك النقدي في بعض الأحيان؛ من أجل بيان بطلان العولمة الغربية وعدم أحقّيتها في إدارة هذا العالم؛ لأنّها تحقّق المصالح الضيّقة وتحاول جعل السيطرة على زمام الأمور من قبل فئة معيّنة تسير بالبشرية إلى الفناء. ونصل في نهاية المقال إلى بيان أحقيّة الفكر الديني الذي يمكن أن يشكّل المفتاح الحقيقي لبناء أسس العولمة الفكرية الإسلامية، وأنّ للفكر الإسلامي القابلية على أن يكون فكرًا عالميًّا، بل وعولميًّا أيضًا.

**الكلمات المفتاحية:** الفكر الديني، العولمة، الرأسمالية، الهوية الثقافية، أسلمة الفكر.

---

مجلة الدليل، 2024، السنة 7، العدد 25، ص. 93 ـ 127

استلام: 2024/07/11، القبول: 2024/08/14

الناشر: مؤسّسة الدليل للدراسات والبحوث

© المؤلّف

**المقدّمة**

تمثّل العولمة تحدّيًا جديدًا وخطرًا في الوقت نفسه للفكر الديني وللمجتمعات الإسلامية بالخصوص، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنّها نتاج غربي هدفها الأوّل السيطرة على كلّ المجتمعات البشرية في هذه الأرض وجعلها تسير في خطّ واحد ومسلك محدّد، سواء في الاقتصاد أو في الثقافة أو في السياسة أو غيرها، وجعل العالم كلّه تحت سيطرة الدول الرأسمالية في كلّ شيء، خصوصًا في الجوانب الفكرية والثقافية؛ إذ يريدون من خلال هذه الخطوة تحقيق عاملين أساسيين هما: الأوّل إلغاء الفكر الآخر، والثاني ضخّ فكر الدول الرأسمالية وثقافتها إلى المجتمعات الأخرى بالخصوص الإسلامية منها. والهدف منه واضح، وهو طمس الهوية الإسلامية وإلغاء الفكر الإسلامي واستبداله بالفكر الغربي.

ولتحديد معالم هذا الموضوع نطرح عدّة أسئلة لا بدّ من الإجابة عنها:

السؤال الأوّل: هل فكرة العولمة تتناسب مع الفكر الإسلامي؟ وما ردود فعل العلماء المسلمين تجاهها؟

السؤال الثاني: كيف يمكن الحفاظ على الهوية الإسلامية في خضم المتغيّرات العالمية.

والسؤال الثالث: هل يمكن أن نؤسّس عولمةً فكريةً إسلاميةً هدفها بناء الشخصية الإنسانية في جميع العالم بشكل أفضل وأكمل؟ وهل هنالك موانع تمنع من القيام بهذه المهمّة؟

كلّ هذه الأسئلة سوف نقوم ببحثها في مضانّ هذا الموضوع الذي يستوفي الإجابة عنها كلّها للوصول إلى نتيجة تكون قابلة للتنفيذ.

## المبحث الأوّل: مفردات البحث

من الواضح أنّه قبل البدء ببيان مطالب هذا الموضوع لا بدّ أوّلًا من بيان معنى بعض المفردات التي وردت في المقالة كالفكر الديني "الإسلامي" في اللغة والاصطلاح، وكذلك بيان العولمة في اللغة والاصطلاح.

### أوّلًا: الفكر الديني لغةً واصطلاحًا

#### أ ـ الفكر الديني لغةً

ولتسهيل الأمر في معرفة الفكر الديني لا بدّ من تقسيمه إلى مفهومين ليتسنّى لنا بيان معناهما لغةً وهما:

1ـ الفكر: الفكر في اللغة: «الفاء والكاف والراء تردُّدُ القَلْب في الشيء، يقال تفكّرَ إذا ردَّدَ قلبه معتبِرًا، ورجلٌ فِكِّير: كثير الفِكر» [ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 4، ص446]، أو: «الفَكْرُ والفِكْرُ إعمال الخاطر في الشيء» [ابن منظور، لسان العرب، ج 5، ص65].

2ـ الدين: وهو الجزاءُ والمكافأةُ، يقال: دانَهُ دينًا، أي جازاه [الجوهري، الصحاح، ج5، ص2118]، أو هو ما يَتَدَيَّنُ به الرجل. [ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص170]

#### ب ـ الفكر الديني اصطلاحًا

الذي يظهر من بعض الكلمات أنّ الفكر الديني ـ الذي نقصد به هو الفكر الإسلامي بالخصوص ـ قد عُرّف على أنّه: «كلّ ما أنتج فكر المسلمين منذ مبعث رسول الله ﷺ إلى اليوم في المعارف الكونية العامّة المتصلة بالله ﷻ والعالم والإنسان، والذي يعبّر عن اجتهادات العقل الإنساني في تفسير تلك المعارف العامّة في إطار المبادئ الإسلامية عقيدةً وشريعةً وسلوكًا» [عبد الحميد، الفكر الإسلامي.. تقويمه وتجديده، ص45]. وعلى هذا يمكن القول إنّ الفكر الإسلامي هو نتاج العلماء والفقهاء والفلاسفة المسلمين من اجتهادات دينية وعلمية وفلسفية؛ لتقديم الأجوبة عن جميع الاستفسارات التي تتعلّق بالكون والخلق وكلّ ما يتّصل بحياة الإنسان العلمية والعملية.

## ثانيًا: العولمة لغة واصطلاحًا

### أ- العولمة لغةً

«العولمة (Globalism) مصدر قياسي على وزن "فوعلة" وهي اشتقاق من الفعل الرباعي "عولم" المأخوذة من "العالم"، مثل "حوقلة" المأخوذة من "حوقل"، وهي تدلّ على التغيّر والتحوّل من حال إلى حال، فهي مأخوذة من الفعل "عولم" على صيغة "فوعل"، وهو من أبنية الموازين الصرفية العربية، والملاحظ عليها أنّها تدلّ على وجود فاعل يفعل. [خريشان، العولمة والتحدي الثقافي، ص 22] أو قد تعني «تعميم الشيء و توسيع دائرته ليشمل العالم كلّه، ويقال عولم الشيء أي جعله عالميًّا» [ممدوح، العولمة.. دراسة في المفهوم والظاهرة والأبعاد، ص 11]. وعلى هذا فالعولمة (Globalism) مأخوذة من العالمية (Globalisation) ولعلّها مستفادة من تنبّؤات عالم الاتّصال مارشال مكلوهان (Marshal McLuhan) الذي يقول: «إنّ العالم أصبح بفضل تطوّر قنوات الاتّصال قريةً كونيةً» [المحنّة، العولمة و الجدل الدائر حولها، ص7-9]، أي أنّ الناس جميعًا ستعيش في هذا العالم وكأنّهم في قرية كونية متقاربة! وأنّ ما يحدث في إحدى جهات القرية ينتشر بسرعة فائقة في جميع الجهات الأخرى. أو أنّها مستفادة من مقولة الفيلسوف الألماني هيجل (Higel) القائلة: «الدولة العالمية المنسجمة التي تنعدم فيها التناقضات الأيديولوجية وتطبيق حقوق الإنسان كأسمى صورة للدولة العالمية الإنسانية» [المصدر السابق، ص 7 - 9].

### ب- العولمة اصطلاحًا

تعدّ العولمة من المفاهيم التي انتشرت في الآونة الأخيرة خصوصًا في مجالها الاقتصادي، وبعد ذلك تمّ تعميمها على جميع المجالات كالمجال الفكري والثقافي؛ ولهذا اختلفوا في تعريفها، فقد عرف عالم الاجتماع البريطاني رولاند روبرتسون (Roland Robertson) العولمة بأنّها عبارة عن «صبغ العالم بصبغة واحدة في أيّ مجال من المجالات، بمعنى أن يتقارب البشر وتذوب بينهم الفوارق في الفكر واللغة والمعتقدات، وفي أشكال الأزياء وصور التبادل التجاري والصناعي، فهي التوحّد في كلّ شيء بحيث تذوب كلّ الفواصل والحواجز بينهم، سواء كانت حواجز مكانيةً أو زمانيةً بحيث يصبحون وكأنهم يعيشون في قرية واحدة. [ميلود بن غربي، مستقبل منظمة الأمم المتّحدة في ظلّ العولمة، ص 44 و45]

ويمكن القول أيضًا إنّها «تعميم الشيء وتوسيع دائرته أو تعميم نمط من الأنماط الفكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية، تختصّ به جماعة محدّدة أو نطاق معيّن أو أمّة

بذاتها على الجميع، أي العالم بأسره» [ماهر عبد القادر، معالم على طريق الفكر العربي المعاصر، ص 84 و85]؛ ولهذا يرى محمد مهدي شمس الدين أنّ «العولمة تهدف إلى اجتياح الثقافات الأخرى ومحوها محوًا كاملًا» [شمس الدين، العولمة وأنسنة العولمة، ص 5]. أو أنّها بإيجاز أيديولوجيا الليبرالية الجديدة كما ولدت الإمبريالية في نهاية القرن الماضي أيديولوجيا للرأسمالية الكلاسيكية. [الجنحاني، ظاهرة العولمة الواقع والآفاق، مجلة عالم الفكر، المجلد 28، العدد الثاني، ص 11]،

## ثالثًا: الفرق بين العولمة والعالمية والعلمانية

هنالك ثلاثة مصطلحات متقاربة في مادّة اللفظ وهي "العولمة" و"العالمية" و"العلمانية"، فلا بدّ من الإشارة إلى الاختلاف الموجود بينها ولو بشكل مختصر، فالعولمة قد تقدّم الكلام في بيان معناها. والعالمية تعني الانتشار والانفتاح على جميع شعوب العالم، والتعرّف على ثقافات الأمم المختلفة والاحتكاك بها، مع الاحتفاظ بخصوصيات كلّ أمّة من فكر وثقافة ومبادئ وعدم إلغائها، فهي إثراء للفكر والتبادل في المعارف مع الإبقاء على الهوية الشخصية لكلّ أمّة [انظر: الأنصاري، مفهوم العالمية من الكتاب إلى الربّانية، ص 61]، وهذه الصفة واضحة المعالم في الدين الإسلامي فقد حرص من خلال خطاباته العامّة التي يخاطب بها جميع البشر على الظهور في أنّه دين عالمي صالح لكلّ زمان ومكان، بل إنّ الشريعة الخاتمة لا يكاد يخفى عالميتها من خلال بعثة خاتم الأنبياء ﷺ للبشرية جمعاء قال تعالى ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾ [سورة سبإ: 28]. وأشار القرآن الى عالميته في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾ [سورة الحجرات: 13]. فالعالمية تتّفق مع العولمة في جانب وتفترق معها في آخر، فالاتّفاق في العمومية والشمولية، فكلٌّ منهما غايته الانتشار في جميع أرجاء الأرض وكلّ الأمم والمجتمعات. بينما الافتراق في أنّ العالمية هدفها الانتشار في كلّ المجتمعات من دون رفض الآخر أو فرض شيء عليه، فهي تسير بموازاة الآخر، بينما العولمة بالإضافة إلى الإنتشار فهي لا تسير مع الآخر في صفّ واحد، بل تلغي الآخر وتفرض عليه ما جاءت به. والعلمانية: «هي ترجمة لكلمة (Secularism) الإنجليزية التي لها نظائرها في اللغات الأخرى، وهي مشتقّة في اللاتينية من سيكولوم (Saeculum) وتعني العصر أو الجيل أو القرن، أمّا في لاتينية العصور الوسطى فالكلمة تعني العالم أو الدنيا مقابل الكنيسة. [انظر: المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ج 1، ص 53]

ولحداثة المصطلح فإنّنا لم نجده في المعاجم اللغوية العربية المتقدّمة، ولكن تناولته بعض المعاجم الحديثة، فقيل إنّ العلماني: «نسبةً إلى العلم بمعنى العالم، وهو خلاف الديني أو الكهنوتي» [مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، ص 624]. وفي الاصطلاح فهي تعني «جعل المرجعية في تدبير العالم إنسانيةً خالصةً، ومن داخل العالم دونما تدخّل من شريعة سماوية» [عمارة، العلمانية بين الغرب والإسلام، ص 7]. أي فصل الدين عن السياسة وإدارة الدولة. فالعلمانية إذن هي الدعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين، وتعني في جانبها السياسي باللادينية في الحكم.

## المبحث الثاني:

## الهوية الثقافية للإنسان والعوامل المساعدة في تشكيلها

تمثّل الهوية الثقافية انعكاسًا مهمًّا لمعرفة الفكر الديني الذي ينتمي إليه أيّ مجتمع؛ لأنّها تشكّل نظامًا متكاملًا من القيم والأعراف التي يتميّز بها المجتمع تبعًا لخصوصياته التاريخية والحضارية والفكرية، فكلّ شعب من الشعوب ينتمي إلى ثقافة خاصّة تميّزه عن غيره، وهذه الثقافة تعدّ كيانًا يتطوّر باستمرار؛ لذا فالهوية الثقافية لأيّ مجتمع تتشكّل من خلال حركة المجتمع الذاتية والتكاملية عبر التاريخ ـ سلبًا أو إيجابًا ـ ونقصد بها الحركة التي تتكوّن نتيجة العوامل النابعة من المجتمع نفسه، أو التي تكون متأثّرةً بعوامل أخرى دخيلة في تكامل المجتمع كالدين مثلًا؛ أو الحضارات الأخرى المنفتحة على المجتمعات المختلفة والتي لها مدخلية وتأثير كبير في رسم معالم الهوية الثقافية لأيّ مجتمع، ولا إشكال في أنّ هذه العوامل الخارجية تختلف كثيرًا من حيث التأثير سواء على نحو الإيجاب أو السلب؛ لأنّ كلّ ذلك مرتبط بالهدف الذي يقف خلفه ذلك العامل؛ لذا فالعوامل الدخيلة يمكن أن تؤثّر بنسبة في أيّ مجتمع، إلّا أنّ التأثير الأكبر في نشوء ثقافة المجتمعات وتكوينها يحصل من خلال العوامل الداخليّة، وبيان ذلك يتمّ في ما يلي:

### أوّلًا: حاجة الإنسان إلى الهوية الثقافية

تمثّل الهوية الثقافية عمق المجتمع الإنساني وأساس مسيرته التي يبني عليها مستقبله الفكري، فهي تعدّ من أهمّ القضايا التي يواجهها المجتمع الإنساني، وأخطرها في الوقت ذاته؛ لأنّ مكانتها قد تتعرّض إلى الانتهاك من قبل المتسلّطين من الداخل والخارج في الوسط الاجتماعي، سواءٌ على المستوى الديني أو الفكري أو غيرهما ممّا ينعكس سلبًا على العمق الثقافي للمجتمع. فمن الداخل هنالك من يحاول تسويق ثقافات مخالفة لثقافة البلد

ونشرها بدعوى التمدّن والتحضّر، وأمّا من الخارج فيعدّ الاحتلال عقبةً كبيرةً في بقاء الهوية الثقافية الأصلية لأيّ بلد، فالكثير من هويات البلدان قد تعرّضت إلى التغيير من خلال إعادة كتابة التاريخ على وفق مصالح المحتلّ، وفرض سياقاته الفكرية وغيرها على الواقع الاجتماعي للبلد، وهذه السيطرة لا تعني التفوّق في الحروب فقط، وإنّما تعني ما هو أبعد وأعمق، وهو الهيمنة على السيادة المجتمعية، وإعادة البناء الاجتماعي وفق ثقافة المحتلّ وفكره ورؤيته لمسيرة الحياة البشرية، وهذا سيؤثّر بالدرجة الأولى على هوية الإنسان الأصلية؛ لأنّ الإنسان بحاجة ملحّة إلى الهوية الثقافية؛ وذلك للأسباب الآتية:

أ ـ أنّ الهوية الثقافية لم تكن وليدة اليوم أو وليدة جيل من الأجيال وإنّما هي إرث من جميع الأجيال السابقة، فهي تعدّ أمانةً بيد الأجيال اللاحقة وتمثّل الجانب الأهمّ الذي يتميّز بها كلّ مجتمع عن غيره.

ب ـ أنّ الهوية الثقافية تشكّل البناء الفكري والتاريخي للبشرية، وقد تمّ تأسيسه منذ استقرار الإنسان على هذه البقعة من الأرض وتشكيل المجتمعات؛ لأنّه يعدّ عمق الإنسان الذي يفتخر به كلّ فرد من أبناء الأمّة.

جـ ـ أنّ تحديد الانتماء الفكري لأيّ أمّة وتشخيصه إنّما يتم من خلال الهوية الثقافية؛ ولهذا أصبحت الهوية الثقافية مهمّة للغاية؛ لأنّ طمسها من الأمّة يعني موتها فكريًّا وفناء إرثها عبر الأجيال. فالحاجة إذن للهوية الثقافية ضرورة ومهمّة؛ لأنّها تمثّل المسيرة التكاملية للأمّة عبر التاريخ.

## ثانيًا: العوامل الأساسية في تشكيل هوية الإنسان الفكرية

إنّ الهوية الثقافية لأيّ مجتمع أو أمّة لا يمكن أن تتكوّن في ليلة وضحاها، بل هي عبارة عن التراكمات التي تحصل من خلال عوامل عديدة تجتمع لتحقّق تشكيل هذه الهوية، ومن هذه العوامل:

أ ـ **الموروث الحضاري**: إذ يمثّل انطلاقةً أساسيةً ومهمّةً في تشكيل الهوية الثقافية - ونقصد به ما يؤسّس من التراث والآثار المادّي والمعنوي الذي يصنعه الإنسان في محلّ استقراره ليرتبط به ـ فمنذ استقرار الإنسان الأوّل على هذه الأرض قام بتشكّيل تجمّعات سكّانية ارتبطت فيما بينها بمقرّرات وقوانين لتضمن الحياة الآمنة، وقد اعتمدوا على الكثير من الوسائل المتاحة لإظهار الموروث الحضاري من خلال رسم الفكر والمعتقد لأبناء الأمّة على مرّ السنين؛ ولهذا

نجد الكثير من الناس ينظرون إلى الموروث على أنّه يمثّل رمزًا للهوية، هذا أوّلًا. وثانيًا: ينمّي الشعور بالانتماء الحضاري الذي يدفع السكّان الأصليين إلى بناء علاقة قويّة بتراث أجدادهم الذي يحمل أهمّيةً روحيةً وتاريخيةً وثقافيةً. وثالثًا: أنّ فهم السياق التاريخي لثقافات الأمم وحضاراتها يوفّر لنا نظرةً واقعيةً لما يطرح من تعقيدات أساسية توصلنا إلى معرفة الواقع الثقافي المرتبط بالأمم من جهة، والحصول على فهم أعمق للروابط الحاصلة بين الناس وهويتهم الثقافية من جهة ثانية، ويتيح لنا المعرفة الصحيحة للعلاقة بين الإنسان وموروثه الحضاري من جهة ثالثة؛ لنصل من خلاله إلى معرفة البناء الرئيسي الذي تتشكّل منه مبادئ الهوية الثقافية للمجتمع والفرد، وهذا ما دفع المجتمعات الى الاهتمام بالمواقع الأثرية والتراثية؛ لأنّها تلعب دورًا مهمًّا في الحفاظ على الهوية الثقافية والفكرية؛ كونها تذكّر بأسلوب الحياة التي عاشها الأسلاف وتبيّن المعتقدات التي اتّبعوها في تلك الأيام، والإنجازات التي تحصّلت من خلال عملهم الدؤوب في رسم دائرة الحياة اليومية على هذه البقعة من الأرض لتضمن للأجيال القادمة أن تتعرّف على تراثها الثقافي المليء بالكنوز التي لا تقدّر بثمن.

**ب- اللغة**: تعدّ اللغة من الهبات التي منحت للإنسان ليتميّز بها عن الموجودات الأخرى، ويبدأ اكتسابها بالتدريج منذ الشهور الأولى لعمره (الطفولة)، وهو في أحضان الأمّ التي يتلقّى من خلالها الكلمات البسيطة الصادرة منها؛ لتبقى متعلّقةً بذهنه، ويطلقون عليها في بعض الأحيان "لغة الأمّ"؛ ولذا فهي تصبح جزءًا لا يتجزّأ من شخصية الإنسان، وإن زاحمتها بعض اللغات الأخرى بعد ذلك، ثمّ يتدرّج مع مفردات لغته من خلال البيئة المحيطة والمدرسة وهكذا، ومن المعلوم أنّ اللغة تعدّ وعاءً للفكر، ومقياسًا للهوية والانتماء، فمن خلالها تحتفظ الأمّة بمقوّمات فكرها وثقافاتها على مرّ العصور؛ لأنّها تعدّ أداةً للتعبير ووسيلةً للتواصل بين أفراد الأمّة، فهي المعبّر الأهمّ عن وعي الأمّة وعن هوية أبنائها ووحدة الانتماء والأهداف في وقت واحد؛ لهذا فهي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالهوية الثقافية للأمّة؛ لأنّها تمثّل عنوان وجوده وجوهره، فهي تعدّ الخطّ الأوّل للدفاع عن كيان الأمّة وهوية أبنائها ودرعها الواقي في الحفاظ على معالم هوية المجتمع وحضاراته، والسلاح الذي يستخدمه أداةً للمقاومة الثقافية، فهي تلعب دورًا حاسمًا في هذا الأمر وعنصرًا أساسيًّا في تحديد التقاليد والعادات والمعتقدات الخاصّة بثقافة الأمّة، ونقل قيم المجتمع وتاريخه وأعرافه، ومن خلالها يمكن إيصال تراث الأمّة الخزين إلى الأجيال القادمة، فاللغة وإن اختلفت في مسيرتها شكلًا ورسمًا، لكنّها تبقى تعبّر عن تاريخ المجتمع وثقافته ومعتقداته، فهي تمثّل روح الأمّة وعنوان هويتها، وركيزةً من ركائز بنائها ونهوضها، فاللغة إذن تعدّ عنصرًا مهمًّا لرسم معالم الهوية الثقافية لأيّ أمّة.

**جـ ـ الديـن**: ويعـدّ مـن أهـمّ عنـاصر الهويـة الثقافيـة لأيّ أمّـة، سـواء كان على مسـتوى الشـعور أو الفعـل وذلـك:

1ـ لدوره الكبـير في تعميـق الهويـة الثقافيـة وتشـعّبه في الحيـاة الاجتماعيـة والفكريـة للمجتمـع؛ فهـو ينظّـم العلاقـة القائمـة فيهمـا.

2ـ أنّـه يؤسّـس لحالـة اجتماعيـة موحّـدة بـين أفـراد المجتمـع رغـم التفـاوت والاختـلاف بينهـم على جميـع الصعـد والمسـتويات، فيحـدّد نـوع العلاقـة بـين أفـراد المجتمـع؛ لأنّ الديـن في بعـده الاجتمـاعي يعـدّ «ظاهـرةً اجتماعيـةً يتضمّـن العـادات والتقاليـد والشـعائر والروايـات المأثـورة والمعتقـدات والمبـادئ الـتي تديـن بهـا أمّـة أو شـعب أو مجتمـع مـا، تمتـدّ تعاليـم الأديـان لتشـمل مختلـف مجـالات الحيـاة، فـهي تنظّـم علاقـة الإنسـان بالإنسـان، وتخيـط علاقـة الإنسـان بالحيـاة وكذلـك علاقتـه بالكـون الواسـع» [السـمالوطي، الديـن والبنـاء العائـلي: ص 45 و46]؛ لذلـك يكـون «الديـن مـن أهـمّ العنـاصر الـتي تقـوم عليهـا الهويـة وثقافـة المجتمعـات، وتبـدو أهمّيتـه في تشـكيل فكـر النـاس وسـلوكهم في أنّـه دعـوة لا تخاطـب عقليـة الإنسـان فقـط، وإنّمـا تخاطـب أيضًـا ضميره ووجدانـه؛ لذلـك فليـس غريبًـا أن يكـون الديـن أو المذهـب الديـني عنـصرًا أساسـيًّا في تكويـن الطابـع القـومي؛ ذلـك لأنّ الديـن يـولّد نـوعًا مـن الوحـدة في شـعور الأفـراد الذيـن ينتمـون إليـه، ويثـير في نفوسـهم بعـض العواطـف والـنزعات الخاصّـة الـتي تؤثّـر في أعمالهـم، فالديـن مـن هـذه الوجهـة مـن أهـمّ الروابـط الاجتماعيـة الـتي تربـط الأفـراد بعضهـم ببعـض» [عطيـة، التعليـم وأزمـة الهويـة الثقافيـة، ص45].

3ـ أنّ الديـن يشـكّل عامـلًا مهمًّـا في تحقّـق الهويـة الفرديـة للإنسـان؛ لأنّـه يوفّـر شـعورًا بالهدف والانتمـاء، ويؤثّـر بصـورة كبـيرة على شـخصيته؛ إذ يمكـن للمعتقـدات والطقـوس والممارسـات الـتي يتضمّنهـا الديـن أن تشـكّل قيـم الفـرد ومعتقداتـه وسـلوكه.

4ـ أنّـه يؤسّـس لبنـاء المنهـج الأخـلاقي الذي يـلازم الفـرد في الحيـاة ويبـني في ضوئـه طريقـة التعامـل الـتي يتّبعهـا كلّ فـرد في المجتمـع. وعليـه فـكلّ هـذه العوامـل وغيرهـا أيضًـا يمكـن أن تشـكّل القاعـدة الرئيسـة في بنـاء ثقافـة المجتمعـات وفكـر أبنائهـا، ليصبـح هـذا الفكـر منطلقًـا للتفاعـل مـع ثقافـة المجتمعـات الأخـرى وفكرهـا، ونسـمّيه بالفكـر الأصيـل.

وهنالـك عوامـل أخـرى لهـا دور مهـمّ في تشـكيل الهويـة الثقافيـة أعرضنـا عـن ذكرهـا لكفايـة مـا ذكرنـاه في إيصـال المطلـوب.

### ثالثًا: الصراع بين فكر الإنسان الأصيل والدخيل

إنّ كلّ أمّة أو مجتمع يختصّ بثقافة وفكر أصيل، فالأمم مهما بلغت من المراتب فهي تحافظ على فكرها وتدافع عنه بكلّ ما تملك لتحصين أبنائها من الأفكار الدخيلة المفروضة من الخارج؛ لتكون بديلًا عن الفكر الأصيل، وأنّ الحفاظ على الفكر الأصيل في ضوء هذه الظروف الصعبة قد يكون أمرًا صعبًا، بل إنّ الحفاظ عليه قد يُدخِل الأمّة في دوامة صراعات ـ داخلية أو خارجية ـ ما لم توضع له قواعد رصينة وقويّة لتحصّن المجتمع أمام هذه التحدّيات الفكرية الوافدة، ففي السابق كانت المجتمعات تُصدر فكرها عن طريق النزاعات العسكرية بصفة غالب أو مغلوب؛ إذ ينشر الغالب ثقافته في المجتمع المغلوب، وقد يتحوّل الفكر الدخيل في هذه الحالة إلى جزء من الفكر الأصيل؛ لأنّ أصحابه قد نشروه بين أهل البلد المغلوب بلغتهم ومسمّياتهم، وقد يتأثّر به بعض أفراد المجتمع ويقبله ـ قلّةً أو كثرةً ـ وفي هذه الحالة يأخذ الفكر بالانتشار على أنّه جزء من ثقافة هذا المجتمع أو ذاك، فيصبح هنالك من يحمله ويدعو له، ويطلق عليهم تسمية "المتحضّرين" أو "الحداثيين". وفي مقابل ذلك هنالك من يدافع عن الفكر والثقافة الأصيلة، فيطلق عليهم تسمية "المحافظين"، لكنّنا نرى اليوم بفضل التطوّر التقني أنّ نشر الفكر الآخر أصبح أكثر سهولةً وأسرع وصولًا، فيكفيه التسويق عن طريق قنوات التواصل الاجتماعي وبصفته الثقافية أو الاقتصادية أو السياسية أو غيرها؛ لذا أصبح عندنا اتّجاهان، اتّجاه يدعو إلى الأصالة والحفاظ على الخصوصية الثقافية والفكرية للمجتمع، واتّجاه آخر يقبل بالثقافة الخارجية الوافدة ويدعو إليها، ومن البدهي أن يكون هناك صراع حادّ بين الطرفين؛ لأنّه يقع في نقطة هي غاية في الأهمّية؛ لأنّها تمثّل المجال الفكري والثقافي والاعتقادي الأصيل الذي يسود المجتمع، ومن الواضح أنّ لمجال الفكر والعقيدة تأثيرًا عميقًا في نفسيات الشعوب، فيشتدّ الصراع بين الفكرين، فتتشكّل من خلاله ظاهرة سلبية تتحكم في الطرفين المتنازعين، ولا يقوم بينهما حوار إيجابي، وكلّ واحد منهما يريد فرض ما لديه على الآخر؛ فالطرف الذي يدعو إلى اتّباع الفكر الدخيل يكون سجين مقولات هذا الفكر، حتّى أنّ فهمه للفكر الوافد الجديد أكثر من فهمه لفكر أمّته وتراثها، فيصبح بحكم علاقته بالفكر الدخيل وألفته له عارفًا به جاهلًا لذاته ولفكره الأصيل وتاريخ أمّته وثقافتها، وكذلك الطرف الأصيل الذي يرفض الوافد ككلٍّ ويعدّه فكرًا مزاحمًا هدفه إلغاء كلّ ما بنته الأجيال من حضارات وثقافات، ويستبدلها بفكر وثقافة جديدة مستوردة [انظر: غليون، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، ص 54]؛ فرفض الوافد بالمطلق قد يؤخّر عوامل التنمية

التكاملية للمجتمع؛ إذ يمكنه أن يأخذ النافع منه والفائدة لتكامل أبناء المجتمع، وإلّا انسلخ عن قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [سورة الحجرات: 13]؛ ولهذا نجد أنّ الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي يمكن له حلّ مشكلة هذا الصراع، وذلك من خلال ما يلي:

أ ـ أنّه قد جاء ليوفّق بين الطرفين المتصارعين ويجمع بينهما في المنهج المتكامل والحضاري الذي قاده لجميع العالم.

ب ـ أنّه يناشد الفطرة البشرية، ويتعامل معها على أنّها مورد الجمع لا التفرقة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إنّ أصوله الفكرية تصلح لكلّ البشرية من دون استثناء؛ لأنّ الإسلام جاء بالدعوة إلى الحرّية والعدالة والعلم والتحرّر من نير الاستعباد.

ج ـ أنّ من أهداف الإسلام محاربة الظلم والجهل وأسبابهما، وقد عرّف نفسه على أنّه دين ينبذ العنصرية ويحاربها، ويحرّك العقول للوصول إلى المجهول، وهو هدف يريده أغلب الناس.

د ـ أنّه جاء لتوحيد البشرية وصهر القوميات في بوتقته؛ لتكون الناس أمّةً واحدةً تبتني وحدتها على أساس العقيدة والإيمان بالله، وكلمة التوحيد هي الأساس في توحيد الكلمة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ﴾ [سورة آل عمران: 64].

## المبحث الثالث:

## العولمة الفكرية في ضوء تباين الثقافات وآثارها على الفكر البشري

تعدّ العولمة ظاهرةً مطروحةً في المجتمعات غير واضحة المعالم؛ إذ إنّها لم تحدّد لا من جهة مفهومها - للاختلاف في تعريفها ـ ولا من حيث تطبيقها على أرض الواقع، «فهي تبقى غامضةً وتثير الكثير من الجدل والنقاش في تحديد مظاهرها وأبعادها وطبيعة القوى الفاعلة المحرّكة لها، وتحليل تأثيراتها وانعكاساتها سلبًا أو إيجابًا، فهي قد لا تضمن للأمم والمجتمعات نظامًا عالميًّا جديدًا عادلًا ومتوازنًا؛ لأنّها تعبّر عن مرحلة تاريخية في تطوّر العالم ـ كما يدّعى ـ إلّا أنّها ما تزال في بداياتها والكثير من ظواهرها ما تزال تتفاعل من حيث النتائج والتأثيرات التي لم تتبلور بصورة واضحة بعد» [انظر: حسنين، العولمة.. الأبعاد والانعكاسات السياسية، ص 187]. فهي «تمثّل ديناميكيةً جديدةً تبرز داخل دائرة العلاقات الدولية، وتُفهم ضمن سياق سياسي جديد ـ ما زالت ملامحه قيد التشكيل ـ تنحسر فيه السياسات الوطنية إزاء مجموعة القيم، والالتزامات التي وجدت بفعل الدعوة إلى إقامة ما يسمّى "نظام عالمي جديد" الغرض منه بناء نظام شمولي، يتجاوز أيديولوجيا الصراعات السابقة بين الاشتراكية والرأسمالية، وبخاصّة بعد

سقوط الشيوعية، فقد سيطرت هذه الأفكار على الجماهير في كلّ مكان، وإحلال العولمة بقوّة الوقائع الجديدة» [عبد الخالق، العولمة.. جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، ص 52 – 54]. فالعولمة مع طرحها كظاهرة جديدة، ولكن حقيقة بدايتها «يمتدّ إلى آلاف السنين من خلال الرحلات التجارية والهجرة وانتشار الثقافة ونشر المعرفة والفهم بما فيها العلوم والتكنولوجيا، فكلّ أمّة قويّة كانت تحاول نشر ثقافتها وحضارتها بصورة عامّة» [الخطيب، النظام المالي والاقتصادي في الإسلام، ص 187 و188]؛ ولذلك طرح في الساحة العالمية شعاران يستفادان من أنّ العالم هل يسير نحو العالمية أو نحو العولمة، وبعبارة أخرى أنّ المجتمعات هل تسير نحو "حوار الحضارات" أم نحو "صراع الحضارات"، فالموردان يطرحان بقوّة في الساحة العالمية ويعمل كلٌّ منهما على تثبيت المعادلة التي يسعى إليها والمساهمة الجادة في التطبيق العملي لأحدهما؛ ولهذا نرى وجود صراع واضح على الساحة العالمية بين هذين الاتّجاهين، وهنا يمكن طرح سؤالين ثمّ الإجابة عنهما، السؤال الأول: كيف يمكن تبنّي عولمة فكرية وثقافية قادرة على توحيد جميع الأمم العالمية في بوتقة واحدة وفكر جامع مع وجود الكثير من الاختلافات الثقافية والفكرية فيما بينها؟ والسؤال الثاني: هو مركب من عدّة أسئلة:

أ ـ هل يمكن القول إنّ هذه العولمة تشكّل تحدّيًا حقيقيًّا للأمّة ولأبنائها؟

ب ـ هل هنالك تداعيات - سلبية أو إيجابية ـ على فكر المجتمع البشري من تطبيق العولمة؟

جـ ـ كيف يمكن مواجهة العولمة السلبية في ضوء الوسائل المتاحة؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة لا بدّ من أن نبحث في النقاط التالية:

## أوّلًا: أسباب نشوء العولمة الفكرية ودوافعها

إنّ الكلام حول العولمة الفكرية والثقافية يعني الانتقال بالإنسان من الاهتمام في المجالات المحلّية إلى الاهتمام في المجالات العالمية، بحجّة أنّ العولمة تزيد من الوعي بعالمية هذا الوجود ووحدة البشرية فيه، وتظهر بوضوح الهوية والمواطنة العالميتين سواء على المدى القريب أو البعيد؛ ولهذا قد يرى بعضهم أنّ العولمة قد تحمل في طياتها نوعًا من الغزو الثقافي الذي يؤدّي إلى قهر الثقافة الأقوى للثقافات الأضعف، وفرض سطوتها الكاملة عليها، فالعولمة ليست هي مجرّد نوع من الصراع الثقافي والفكري أو الحضاري، وإنّما أيضًا فرض الثقافة والفكر والقيم والأعراف السائدة في المجتمعات المهيمنة في أوساط المجتمعات المهيمن عليها، وقد استفاد هؤلاء في نشر عولمتهم من عدّة وسائل:

أ ـ استخدم أصحاب العولمة التقنية المتطوّرة والإعلام المنتشر أساسًا لتحديد وجهة العولمة على المستوى الأممي، ففرضوا نمطًا محدّدًا من الوعي الفكري والثقافي من خلالهما.

ب ـ قاموا بنشر نماذج من الفلسفة الغربية الإلحادية ـ التي تسفّه كلّ شيء ـ على أنّها البديل للفلسفة الصحيحة، لغرض التأثير على فكر الناس وخصوصًا الشباب منهم.

جـ ـ إقصاء الثقافات المحلّية وتهميشها من قِبَل دُول العولمة القويّة، والسيطرة على ثقافة الدول النامية والضعيفة وفكرها، ممّا يجعل هذه الدول خاضعةً للدول القويّة ولمصالحها؛ ولذا فإنّ العولمة هدفها الأساس هو السيطرة الفكرية والثقافية على المجتمعات، وخصوصًا مجتمعات العالم الثالث الذي يتمخّض منها السيطرة على كلّ شيء فيها؛ لأنّ السيطرة عليها فكريًّا وثقافيًّا يعني السيطرة التامّة على كلّ شيء فيها.

د ـ أنّ هدف العولمة الرئيس هو السيطرة على العالم، والتحكم به وبجميع مقدّراته من قبل الزعماء والمترئسين في قيادة الرأسمالية؛ فلهذا جعلوا السيطرة الفكرية والثقافية هي عمدة عملهم، وبواسطتها يمكن السيطرة على المجالات الأخرى؛ لأنّ هذه المجالات إنّما هي تبع للسيطرة الفكرية والثقافية، فالسيطرة عليهما يجعل كلّ شيء يصدر من الدولة المسيطرة جميلًا ومتقنًا ونافعًا، وبعبارة أخرى فإنّ العولمة الفكرية والثقافية هي الأساس في عولمة المجالات الأخرى. وأمّا الأسباب والدوافع التي كانت وراء ظهور العولمة وانتشارها في مختلف المجالات وفي جميع المجتمعات وتأصيلها لتكون ظاهرةً كونيةً فيمكن تلخيصها بعدّة نقاط أهمّها:

1ـ التطوّر الهائل في المجال التقني والمعلوماتي من خلال تطوّر الاتّصالات وظهور الإنترنت، وانتشار مواقع التواصل الإجتماعي التي حوّلت العالم الكبير إلى قرية صغيرة.

2ـ زيادة الميل الأممي إلى بناء التكتّلات الإقليمية والدولية، سواء الفكرية منها أو الاقتصادية أو السياسية أو العسكرية أو غيرها ولأسباب مختلفة، كالاتّحاد الأوربّي (EU)، وحلف الناتو (NATO) وحلف وارسو (Warsaw Pact) والاتّحاد الاقتصادي الأوراسي (EEU) وغيرها، فبعد انتهاء الحربين العالميتين، أصبح عند الدول الرغبة في إنشاء تجمّع عالمي كبير يجمع عددًا كبيرًا من الدول، يهتمّ بالشؤون العالمية، وقد أسموا هذا التجمّع بـ"عصبة الأمم المتّحدة" ثمّ "منظّمة الأمم المتّحدة" (UN)، وقد منحوا حقّ التصويت فيها بالنقض والإبرام للقرارات الصادرة منها لمجموعة قليلة من الدول، فكلّ ذلك كان دافعًا للتفكير بجدّية من قبل أصحاب العولمة لجمع هذه المسمّيات في كيان واحد يسهل السيطرة عليه، وهذا كلّه على المستوى الاقتصادي والعسكري والسياسي . وأمّا على المستوى الأيديولوجي والفكري فقد

انقسم أكثر دول العالم إلى كتلتين كبيرتين، ضمّت الكتلة الأولى الدول الاشتراكية وحلفاءها، بينما ضمّت الكتلة الثانية الدول الرأسمالية وحلفاءها، فأصبح الصراع دائرًا إلى اليوم بين هاتين الكتلتين، وكلّ واحدة منهما تريد السيطرة على العالم.

3ـ ظهور بعض المنظمات العالمية الكبرى المهتمّة بمختلف التوجّهات، والتي ظاهرها الدفاع عن هذه العناوين في الأمم والمجتمعات المختلفة، إلّا أنّ الحقيقة الكامنة وراءها هي استغلال هذه المنظّمات للعناوين في تحقيق مآرب الدول العظمى، مثل ظهور "منظّمة التجارة العالمية" (LOMC) ومنظّمة الأمم المتّحدة للطفولة (UNICEF) ومنظّمة الأمم المتّحدة للتربية والعلم والثقافة (UNESCO)، والمنظمة العالمية للملكية الفكرية (WIPO).

4ـ رغبة الكثير من المجتمعات في الحصول على التطوّر الثقافي والفكري الذي تتمتّع به البلدان الكبيرة والمتقدّمة ونقله إلى بلدانهم.

5ـ انتشار اللغة الإنجليزية - بشقّيها الأمريكي والبريطاني ـ وسيادتها على جميع اللغات، ويظهر ذلك من خلال اعتمادها كمظهرٍ ودليل قويّ للتقدّم والرقيّ، حتّى باتت تحلّ مكان اللغة الأمّ، فأصبح إتقانها شرطًا أساسيًّا في مختلف جوانب الحياة، سواء في العمل أم المناهج التعليمية، أم الصحف والمجلّات.

6ـ الاحتفالات المتكرّرة بالأعياد والمناسبات العالمية وجعلها مناسباتٍ دائمةً، مثل الاحتفال برأس السنة وهدايا بابا نؤيل والتشبّه به، والاحتفال بـ "عيد الحبّ" (Valentines Day) ومهرجان الهالوين (Halloween)[1] وغيرها من الأعياد الأخرى في العديد من دول العالم، والتي بدأت من دول العولمة وحاولوا تصديرها إلى الدول الأخرى. فكلّ هذه العوامل وغيرها يمكن أن نسمّيها بالعوامل الشرطية المؤدّية إلى انتشار ظاهرة العولمة بوصفها ظاهرةً كونيةً.

[انظر: ماهر عبد القادر، معالم على طريق الفكر العربي المعاصر، ص84 و85]

## ثانيًا: تحقّق العولمة الفكرية في ضوء تباين الثقافات بين المجتمعات

تقدّم أنّ لكلّ أمّة ثقافةً وفكرًا أصيلًا يختصّ بها، وقد تضمّ بعض المجتمعات أكثر من ثقافة وفكر واحد؛ وذلك لتعدّد الأعراق والأديان فيها ـ وهذا التعدّد والتباين في ثقافات

1- وهو يوم يحتفل به الأمريكيون في الـ 31 من تشرين الأوّل، يرتدي المحتفلون به أزياء تحاكي أبطال أفلام الرعب والشخصيات الخارقة، ويضعون أقنعةً "مفزعةً" استعدادًا للخروج إلى الاحتفالات، وقد بدأ الترويج إليه في الكثير من بلدان العالم وفي العديد من القنوات الإعلامية المنتشرة.

المجتمع الواحد له من الإيجابيات الكثيرة بحيث يمكن أن يحصل المجتمع في ظلّ هذا الاختلاف على فرصة كبيرة للتلاقح في الأفكار والثقافات بين هذه الطوائف ـ فكيف يمكن أن تقبل هذه الأمم بإلغاء ثقافتها وفرض ثقافة وفكر لا يمتّ بصلة إلى فكر الأمّة، وهذا يشكّل عائقًا كبيرًا في توحيد الثقافات وبناء فكر واحد جامع لهذه الطوائف والأمم، فمن الممكن أن تشترك هذه الأعراق والطوائف في جزء من الثقافة العامّة للمجتمع أو قد لا تشترك أصلًا؛ لأنّ الشعوب تختلف في نُظم حياتها، وفي معارفها وطبائعها وعاداتها وتقاليدها، وهذا سيؤثّر على مظاهر الحياة الثقافية والحضارية بصورة كبيرة سواء نحو الإيجاب أو السلب؛ لذا حاول بعضهم تسخير الإعلام من أجل تقريب وجهات نظر المجتمعات لقبول العولمة أو على أقلّ التقادير عدم الممانعة بتطبيقها في المجتمعات الأخرى؛ ولهذا يمكن القول أنّ «الاعتماد على وسائل الإعلام التي تخلق الحاجة والنموذج، أو بالإكراه عن طريق الاتّفاقيات والالتزامات مع المؤسّسات المالية، أو المعاهدات بين الأفكار والمجموعات أو بالتبعية القهرية والتركيز على وسائل الإعلام كوسيط لتكريس مفاهيم العولمة، وتبادل المعلومات وتجديدها، حيث يعتبر الإعلام سلطةً جديدةً تتحكم في توزيع المعرفة، والتأثير على الثقافات المختلفة، حتّى تخلق مجتمعًا مفتوحًا على الاختلافات، وعلى قيم جديدة تطرح للنقاش، وهي بذلك تطرح العديد من التحدّيات، وفي مقدّمتها إغفال الخصوصيات للمجتمعات، وبخاصّة ما يتعلّق بالنواحي العقدية، كل ذلك نتيجةً للتغيرات التكنولوجية، التي حدثت في العالم قد ألقت السيطرة على المعرفة، ومن ثمّ أصبح التغيّر الاجتماعي معتمدًا على قوّة المعرفة، التي تتطلّب انتباهًا خاصًّا تجاه العملية التعليمية، وبالتالي الحاجة إلى استثمار أكبر في هذا المجال» [شمس الدين، العولمة وأنسنة العولمة، ص5]. فالإعلام يمكن أن يصوّر لنا بأنّ العولمة ليست خارجةً عن محيط الإنسان أو أجنبيةً عن محتواه ؛ لأنّ الأفكار والقيم والمفاهيم والقناعات التي يتّصف بها الإنسان يمكن أن تحمل في داخلها بذور العولمة، بمعنى أنّ لها الاستعداد في الانتشار من دون قيود، وانتقالها العابر للحدود والتوسع على الصعيد العالمي، فما لم يكن ممكنًا ولا مقبولًا أصبح بفضل الإعلام والتسويق الإعلامي أمرًا ممكنًا وأكثر مقبوليةً، وهذا ما تحاول القوى المسيطرة والمتنفّذة في الأوساط العالمية تسويقها كبرنامج متكامل لخدمة البشرية على هذه الأرض، وإذا أريد لهذا الأمر أن يتحقّق على الصعيد العالمي، «فلا بدّ له أن يخضع في الاعتبار إلى ثلاث عمليات: العملية الأولى: تتعلّق بانتشار المعلومات بحيث تصبح مشاعةً لدى جميع الناس. والعملية الثانية: تتعلّق بتذويب الحدود بين الدول وجعل جميع الدول كدولة واحدة ينتقل فيها المواطن إلى أيّ مكان يريد. والعملية الثالثة: ترتبط بزيادة معدّلات التشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسّسات وإلغاء الفوارق بين هذه الجماعات، بل بين الناس أجمع.

وكلّ هـذه العمليـات قـد تـؤدّي إلى نتائـج سـلبية بالنسـبة لبعـض المجتمعـات وإيجابيـة لبعضهـا الآخـر. [انظـر: السـيد ياسـين، العـرب والعولمـة، ص27]

وهـذا الـكلام إذا نظرنـا إليـه نظـرةً أعـمّ يمكـن لنـا أن نشـخّص جانبـه السـلبي ـ وهـو الأغلب الأعـمّ ـ بصـورة واضحـة؛ إذ إنّنـا نـرى أنّ هـذا هـو نـوع مـن التقييـد في كلّ شيء؛ باعتبـار أنّ حلقـة الوصـل سـتكون بيـد أصحـاب العولمـة، فهـم قـد جعلـوا كلّ شيء يسـير على وفـق مصالحهـم ومنافعهـم الـتي يسـعون لتحقيقهـا.

## ثالثًا: آثار العولمة الغربية وتداعياتها على الفكر البشري ووسائل مواجهتها

مـن الملاحـظ أنّ العولمـة بهـذا المنهجيـة والفكـرة الـتي أسّسـها أصحابهـا لبثّهـا ونشرهـا تعـدّ مـن أخطـر العناويـن على البشريـة، فـهي سـيطرة ـ أو قـل اسـتعمار بثـوب جديـد ـ اختياريـة، وليـس الغـرض منهـا التفاعـل والتعـاون مـن أجـل التعـارف والاسـتفادة مـن الجوانـب الإيجابيـة في كلّ ثقافـة، وإنّمـا بـثّ الآثـار السـلبية والتداعيـات الخطـرة الـتي تحملهـا العولمـة، وخصوصًـا في الجانـب الثقـافي والفكـري، وهـذه الآثـار تتلخّـص فيمـا يـلي:

أ ـ أنّ العولمـة في جانبهـا الاقتصـادي والسـياسي لـم تصـل إلى التكامـل المطلـوب؛ فـفي الأوّل قـد فشـلت في تحقيـق النسـب المرتفعـة في النمـوّ لـكلّ النـاس، بـل قـد نسـفت المكاسـب الاجتماعيـة القديمـة وأوصلـت الكثـير مـن الفئـات إلى مسـتوى الفقـر والبطالـة [انظـر: الجنحـاني، ظاهـرة العولمـة.. الواقـع والآفـاق، ص 32]؛ إذ جعلـت رؤوس الأمـوال بيـد ثلّـة قليلـة مـن النـاس، لهم السـطوة والسـيطرة على الأسـواق التجاريـة وانتقـال الأمـوال وهـؤلاء قـد وضعـوا اليـد على الكثير مـن البنـوك والمصارف في البـلدان الأخـرى، وأمّـا في الجانـب الثـاني ـ وهـو السـياسي ـ فقـد سـيطرت الدول العظـمى على مسـارات الدول وسياسـتها وأثّـرت بصـورة كبـيرة على القـرار الوطـني؛ إذ أصبحـت سياسـة البـلد تـدار مـن قبـل تلـك الدول وفقـدت بذلـك مفهـوم السـيادة والشـاهد على ذلـك أنّـه في العقوبـات الـتي قـد تفـرض مـن قبـل الدول العظـمى على بعـض البـلدان، فـإنّ الكثـير مـن الدول تؤيّـد هـذه العقوبـات تبعًـا لتلـك الدول العظـمى وليـس قناعاتهـا الخاصّـة بهـا، وبالتـالي مـن هذا الأمـر وغيره تمكّنـت دول العولمـة مـن أن تتلاعـب بفكـر هـذه الدول وثقافاتهـا كيـف تشـاء.

ب ـ بمـا أنّ العولمـة تعـني فـرض ثقافـة معيّنـة على جميـع الأمـم فهـذا يعـني جعـل هـذه الثقافـة هي السـائدة، وسـتكون هي الثقافـة العالميـة الوحيـدة والمقبولـة لدى الجميـع، أي أنّهـا تهـدف إلى الاسـتفراد بالفكـر العالـمي والسـيطرة على الأمـم ونـشر ثقافتهـا وقيمهـا ومعاييرهـا كنمـوذج حيـاتي وفكـري على الصعيـد العالـمي، وبالتـالي إلغـاء كلّ ثقافـة وقيـم لـلدول الأخـرى، والسـيطرة على

إرثها الحضاري والثقافي ليتمّ إلغاؤه أو إبقاؤه لينتفع منه أصحاب العولمة. [انظر: عبد الخالق، العولمة.. جذورها وفروعها، ص 47] وهذا يعدّ خطرًا كبيرًا على المجتمعات؛ وذلك لما يلي:

1ـ أنّ التوظيف الأيديولوجي للفكر المقابل في باقي المجتمعات يعني إلغاء الفكر المرتبط بالموروث الثقافي للمجتمعات نفسها، ومن ثمّ تعميق الهوّة بين الإنسان وكيانه الروحي والحضاري.

2ـ سيمنع الأجيال القادمة من الاستفادة من تراثهم وإرثهم الثقافي والحضاري الذي بناه الآباء والأجداد السابقون، وستكون هذه الأجيال بلا تاريخ ولا فكر أو هوية ثقافية.

3ـ يمثّل الفكر الدخيل فكرًا انحرافيًّا في الجوانب الاعتقادية؛ لأنّه يتعامل مع الدين السماوي على أنّه أفيون الشعوب، فينشر الفكر الإلحادي المنحرف بدلًا عن الفكر الحقيقي السماوي.

4ـ أنّه يلوّث الفطرة الإنسانية التي فطر الله تعالى عليها جميع البشرية ويلغيها ﴿**فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾ [سورة الروم: 30]. من خلال نشر الثقافة الانحلالية وتلويث الأخلاق ونشر الفساد بين أفراد المجتمع بداعي الحرّية الجنسية المطروحة.

5ـ أنّه يشجّع على تدمير الأسرة - التي هي اللبنة الأولى للمجتمع - وذلك من خلال التحوّل الجنسي لكلا الجنسين إلى الآخر وكذلك يشرعن وبقوّة الزواج المثلي وغيرها من الموبقات التي تشمئزّ منها الفطرة الإنسانية النظيفة.

جـ ـ إذا كانت العولمة هي فرض نموذج ثقافة خاصّة من قبل أصحاب العولمة، فهذا يعني بروز ظاهرة المركزية الثقافية (Ethnocentrism)[2] وهي:

1ـ نظرة لا تخلو من التعالي العنصري، وقد تصل في بعض الأحيان إلى التفرقة العنصرية.

2ـ أنّ هذه النظرة تمثّل نظرة الاستعلائية من قبل هؤلاء لغيرهم، فهم يمثّلون كلّ شيء ورأس الهرم دون غيرهم.

3ـ أنّ الثقافة العولمية سوف تصبح هي الثقافة المركزية وباقي الثقافات - إن لم تلغَ - فهي هوامش تدور حول المركز، وكلّ ما يترشّح من المركز لا بدّ أن تأخذه الثقافات الأخرى وتعمل به [انظر: إبراهيم، العولمة وجدل الهوية الثقافية، ص 101]، فثقافة المركز تصبح ثقافة الأسياد والثقافات الأخرى هي ثقافات العبيد.

---

2- ويقصد بها الاستعراق والعنصرية أو المركزية العرقية أو التعصّب العرقي الثقافي.

د ـ الهيمنة المباشرة وغير المباشرة على الجانب الإعلامي والسيطرة على القنوات - المقروءة والمسموعة والمرئية ـ الإذاعية والتلفزة والصحف، ونشر الدعايات المغرضة وبثّ المحتويات الهابطة من خلالها لتذويب القيم والأعراف والأخلاق السائدة في البلاد خصوصًا الإسلامية منها، ووضع اليد على المعلومات المهمّة من خلال عوامل التجسّس عن طريق وسائل الاتّصال المتاحة وعن طريق مجالات التواصل الاجتماعي. [انظر: القصيبي، العولمة والهوية الوطنية، ص 77]

وأمّا الوسائل التي يمكن من خلالها مواجهة العولمة الغربية فتكمن في:

أ ـ الاعتماد على أبناء المجتمع وتثقيفهم بثقافة أمّتهم والحفاظ عليها وعلى موروثهم الفكري والثقافي والحضاري.

ب ـ عدم الاعتماد كلّيًّا على الدول العظمى في جميع المجالات، ونقل التقنيات المتطوّرة إلى داخل البلد للاستفادة منها مع المراقبة الدقيقة.

جـ ـ منع تغلغل الثقافات الهدّامة للمجتمع والسيطرة على قنوات البثّ المباشر وغير المباشر ـ سواء المسموعة والمرئية والمقروءة ـ ووضع اليد عليها وإقرار القوانين الصارمة بحقّ كلّ من يتجاوز ذلك.

د ـ منع بثّ أيّ محتوًى هابط يخلّ بالأخلاق العامّة لأبناء المجتمع، وسنّ القوانين الصارمة على كلّ من يحاول الإخلال بها.

هـ ـ مراقبة وسائل التواصل الاجتماعية وإغلاق المواقع الإباحية، وكذا المواقع المغرضة التي تثير الشحن الطائفي أو المذهبي أو تحاول التفريق بين أبناء البلد الواحد.

و ـ عدم السماح بمصادرة السيادة الوطنية والتدخّل بسنّ القوانين واتّخاذ القرارات المهمّة، وذلك من خلال الحزم في الردّ على كلّ المتجاوزين، سواء بالطرق الدبلوماسية أو غيرها، ومنع عوامل التجسّس والمحاسبة عليها.

ز ـ الميل إلى تشكيل تحالفات مع الدول التي لها مشتركات ثقافية وفكرية وغيرها - مع الحفاظ على الاستقلالية - لتضمن عدم استضعافها من الدول الأخرى، وتوقيع مذكّرات التعاون بينها؛ لذا يقول هنتنغتون (Samuel Huntington) إنّ «الدولة تميل إلى التقارب مع الدول ذات الثقافة نفسها، وتتوازن ضدّ الدول التي تفتقر معها إلى التجانس الثقافي» [انظر: هنتنغتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ص289].

## المبحث الرابع:

## أسلمة الفكر البشري العالمي وعولمته بين النظرية والتطبيق

بعد أن وضعت الحرب الباردة أوزارها واندحرت الشيوعية وسقطت، ومع ازدياد قوّة الرأسمالية وسطوتها في العالم، ومحاولاتها السيطرة على جميع بلدان العالم بشكل مباشر أو غير مباشر ـ وهذا ما شاهدناه في العقود الماضية، خصوصًا أنّهم يطالبون بتطبيق نظام عالمي جديد أرادوا تأسيسه كما يدّعون ـ بدأت في الآونة الأخيرة عوامل أفول هذه القوّة تزداد يومًا بعد الآخر؛ لما نراه من تصدّعات في الثقافة المقابلة (الغربية الرأسمالية)، ونفور الكثير من أبناء هذه الأمم وإنكارهم لتصرّفات الطبقة السياسية الحاكمة، ورفضهم لما تقوم به هذه الطبقة وتدخّلاتها في الأمم الأخرى، وشعور الناس في هذه المجتمعات بالمستقبل المجهول، والمخاطر التي تهدّد جميع أفراد الأمم، سواء الفكرية والاقتصادية والأخلاقية وحتّى السياسية منها؛ ولهذا أصبح التعاطف مع مشاكل الأمم المستضعفة يتّسع وبشكل ملفت للنظر، إلى درجة أصبحت الحكومات في تلك البلدان القويّة تخشى على استمرارها، وبسقوط هذه الحكومات سوف تسقط القوى الرجعية والرأسمالية والإمبريالية، فتحتاج الناس إلى نظام بديل يصلح ما أفسدته الأنظمة السابقة، فيبقى المجال مفتوحًا لحركة إسلامية تقوم بنشر الفكر الديني الإسلامي القويم الذي عنوانه التسامح وعدم التفرقة بين البشر؛ لأنّهم جميعًا خلق الله تعالى.

وعلى الرغم من السعي الدؤوب من قبل الحركة الإمبريالية ودوائرها في تشويه الفكر الإسلامي، فإنّ انتشار المسلمين في بقاع الأرض يمكن أن يساعد في استغلال هذه الحركة الجماهيرية الكبيرة لطرح النموذج الحقيقي لوجه الإسلام المعتدل الذي يناشد بالعدالة والمساواة، وفي ظلّه ينعم البشر بالأمن والأمان؛ ليتحقّق في ضوئه بوادر النظام العالمي الجديد الذي يقوده الإسلام الصحيح وعولمة الفكر الديني على جميع المستويات، ولكن يبقى السؤال وهو هل يمكن تحقيق عولمة إسلامية لتحلّ محلّ العولمة الغربية أو لا يمكن ذلك؟ وللإجابة عن هذا السؤال لا بدّ من البحث في مجموعة من النقاط:

### أوّلًا: الخطاب الديني ودوره في ترسيخ القيم العقدية في المجتمع وأسباب ضعفه

يشكّل الخطاب الديني المعتدل عاملًا أساسيًّا في ترسيخ القيم العقدية للمجتمع، فهو يمثّل الحالة السمحة والسهلة التي صدح بها خاتم الأنبياء ﷺ إذ قال: «بعثت بالحنيفية السمحة ـ السهلة» [الطوسي، الأمالي، ص 525، الحديث 1162]؛ لأنّ الاعتدال في الخطاب الديني يمثّل أفضل طريقة

لمعالجة جميع الانحرافات سواء العقدية أم الفكرية التي تعاني منها المجتمعات، ولا إشكال في وجود أناس يتأثّرون بالأسلوب المطروح وطريقة الكلام والتفكير؛ لذا فإنّ تقديم الخطاب الديني الذي يحمل البعد الفكري والثقافي المؤثّر ليحصل التصديق والاقتناع بمضمونه يمكن أن يدفع الفرد إلى اتّباعه والانتماء إليه؛ لتساهم في ظهور ثقافة دينية تأخذ بالمجتمع إلى الاتّجاه الصحيح المبنيّ على وفق المسلك الديني القويم والتفكير المستقيم؛ من أجل خلق عقلية جمعية قادرة على التفاعل الإيجابي في المجتمع، فالعقل الجمعي المصلح يمكن أن يستمدّ أفكاره من القراءة الصحيحة للتراث المتمثّل بالكتاب الكريم والأحاديث الشريفة ومنهجية العلماء، وفي المقابل أيضًا هنالك عقل جمعي مفسد يمكن أن يستمدّ أفكاره من القراءة الخاطئة للتراث، والتحريض المستمرّ من قبل بعض أدعياء العلم؛ ليبني الانحراف الفكري والعقدي والثقافي في الأمّة، وتقدير المصلح والمفسد في العقل الجمعي يعتمد كلّيًّا على القراءة الصحيحة للتراث بعقلية واسعة ومنفتحة، وطرحه في الخطابات المعتدلة التي تمثّل الواقع الصحيح للدين؛ إذ من الممكن أن ينشغل الناس بتفكير محدود أو فكر مستورد منتج من مخيّلة غيرهم؛ ليتأثّروا بمفاهيم الخطابات لتوصلهم إلى حالة التطرّف والانغلاق وتكفير الآخرين، وتقديم هذا الفكر على أنّه صميم الدين الإسلامي وأصله، وهذا ما لاحظناه في ظهور الحركات المتطرّفة والإرهابية في الآونة الأخيرة، وما مثّلته من خطورة على الدين وعلى الإنسانية جمعاء - وإن كان هدفها واضحًا وغاياتها مكشوفةً ـ إلّا أنّ هذا كلّه كان بسبب الخطابات المتشدّدة والخاطئة التي تأثّر به جماعة من الناس واتّبعوا هذا الفكر المنحرف للإيحاء بأنّ هذا هو الفكر الإسلامي الذي جاء من السماء وبلّغه خاتم المرسلين محمّد ﷺ، متناسين أنّ الله ﷻ قد أسّس لنا قاعدةً مفادها أنّ الرحمة دائمًا تسبق الغضب، وأنّ الدين هو عنوان الرحمة، فقد ورد في الحديث القدسي عن أبي عبد الله عليه السلام عن الله تعالى قوله: «إنّ رحمتي سبقت غضبي فلا تقنطوا من رحمتي» [الكليني، الكافي، ج 2، ص 275]. وإنّ الله تعالى قد أرسل نبيّه محمّدًا ﷺ عنوانًا للرحمة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: 107]. فالخطابات الدينية المعتدلة إلى الآن لم تطرح بشكل واسع في المحافل الدولية، ولم يؤسّس منها النواة لخلق العقل الجمعي المعتدل والمنفتح على الآخرين؛ لتهيئة الأرضية لقبول الفكر الديني على أنّه فكر إصلاحي ناشئ من تلبية كلّ الاحتياجات البشرية، فالمباشرة في خطابات المرحلة ـ التي تتأثّر بالواقع المعاش وتؤثّر فيه وهي مبنيّة في الوقت نفسه على واقع الحال المستند إلى البعد الفكري الصحيح الذي يؤسّس لهذا العقل الجمعي ـ يمكن أن تساعد في تحقيق الأسلمة العالمية الصحيحة، وخصوصًا أنّنا نرى أنّ الأجواء الآن مهيّأة لذلك؛ بسبب الانتشار الكبير للجالية المسلمة المتديّنة في أغلب

بقاع الأرض؛ لأنّ التديّن إذا ارتبط بأصول الاعتقاد والسلوك الأخلاقي، وحينما يفهم ذلك فهمًا سليمًا سيؤدّي في النهاية إلى الرقيّ بمستوى العلاقات الإنسانية بين جميع أفراد المجتمع، وكذلك بين المجتمعات الأخرى المختلفة داخل النظام العالمي، وهذا الرقيّ هو الذي يسهّل عملية التعاون بين المكوّنات، ويوظّف التنوّع الإنساني في أسباب التكامل؛ لأنّه يساعد على احترام الحقوق الفردية والجماعية وسيفتح الباب أمام السلم المجتمعي والسلام الدولي؛ ولهذا لا بدّ من استغلال المهرجانات الكبيرة في إظهار الفكر الإسلامي الصحيح المبنيّ على التسامح والعدالة والرحمة، والاستفادة من إحياء المناسبات الدينية لبيان فلسفة الدين وأهمّيته في الحياة البشرية. ولكن ما نلاحظه وبوضوح هو ضعف الخطاب الديني المعتدل الهادف الذي يسعى لنشر الفكر الإسلامي الصحيح، وهذا في حقيقته ناشئ من عدّة أسباب أهمّها:

أ- في الأغلب الأعمّ تحوّل الخطاب الديني الأيديولوجي من مؤسّساته الدينية الحقيقية إلى المؤسسات السياسية التي يهيمن عليها الخطابات النفعية؛ لأنّ السياسة تراعي المنفعة أوّلًا وآخرًا.

ب- اعتماد الخطابات الفئوية والمذهبية في مخاطبة الناس، مع أنّ الرسالة الإسلامية هي رسالة عالمية تخاطب البشرية بغضّ النظر عن أعراقهم وأجناسهم وألوانهم واختلاف ألسنتهم؛ لهذا أخذ الخطاب الديني في الانزواء والضعف، ممّا أدّى إلى عدم تقبّله من قبل الآخرين.

جـ- حصر الخطاب الديني في بعض المجالات، مع أنّه خطاب شامل لكلّ مناحي الحياة سواء العقدية منها أو العبادية أو المعاملاتية، وهذا أدّى إلى تأخّر الخطاب الديني في مسايرته التجديد والحداثة الصحيحة التي ينشدها الناس جميعًا.

د- عدم وجود الخطاب التأثيري الموحِّد الذي يقوم على جمع الناس على وحدة الكلمة؛ لتكوين أمّة واحدة تربطهم عقيدة صحيحة واحدة متقاربة مفادها قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ**﴾ [سورة آل عمران: 64].

هـ- ما تعمله الدوائر الاستعمارية والاستكبارية التي ما برحت ليل نهار من تشويه صورة الإسلام المعتدل الصحيح وتصوير الحال على أنّ الإسلام عبارة عن العنف والقتل والتخلّف والجهل وإظهار الجانب السلبي - بحسب نظرهم - على أنّه الجانب الغالب على الفكر الديني الإسلامي، فكلّ ذلك دفع المؤسّسات الدينية عن الامتناع أو الضعف في تبليغ الفكر الديني الصحيح أو الظهور في التجمّعات الكبيرة وترك المجال أمام المتطفّلين على الدين وعلماء السوء لإشغال هذا المجال وسدّ الفراغ.

وهنالك الكثير من الأسباب الأخرى قد أعرضنا عن ذكرها خوفًا من الإطالة.

## ثانيًا: عالمية الفكر الديني الصحيح ودوره الحقيقي في قيادة المجتمع العالمي

الذي يقرأ الآيات القرآنية يجد الكثير منها يتحدّث بلسان العموم، أي عموم الناس قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [سورة البقرة: 21]. ومن المعلوم أنّ الخطاب بـ "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**" دليل على عموميته، بل الأكثر من ذلك؛ فإنّ بعثة خاتم الأنبياء ﷺ هي عامّة للبشرية، ولا تختصّ بالمؤمنين أو المسلمين، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾ [سورة سبإ: 28] وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ [سورة الأنبياء: 107]. فالعالمية صفة تلازم الدين الإسلامي؛ لأنّ فيه كلّ مقوّمات العالمية وخصائصها من فكر أو معتقد أو تشريع؛ لأنّ الأغلبية العظمى من نصوصه تحاكي وتخاطب عموم البشرية وتجيب عن جميع إشكالاتها وأسئلتها وتوفّر الحلول للمستجدّ من متطلّباته ـ وهنالك دراسات كثيرة أُقيمت على عالمية الدين الإسلامي وفكره ـ فمن كانت هذه خصائصه ومحاكاته فلا إشكال في أنّه قادر على قيادة المجتمع البشري، والوصول به إلى برّ الأمان بعد أن تلاطمت به أمواج الفتن، وقد صرّح بذلك ثلّة من علماء الغرب، قال ديلاسي أوليري (DeLacy OLeary): «وتظهر أعظم قوّةٍ له (الإسلام) في أنّه قد عرض المادّة القديمة في شكلٍ جديدٍ جدةً تامّةً» [أوليري، الفكر العربي ومكانه في التاريخ، ص 16]. وهذا ما جعل الدين الإسلامي يشرق بنوره وصفائه على جميع أبناء البشر؛ ليتوافق فكره مع عقول الناس قبل قلوبهم، ويحرّك فطرتهم ويعيدها إلى أصلها؛ ولذلك فقد تنبّأ بعض الغربيين بانتشار الإسلام وتقبّله من قبل الناس في الأيام القادمة، فقد قال برناردشو (Bernard Shaw): «لقد تنبّأتُ بأنّ دين محمّدٍ سيكون مقبولًا لدى أوربّا غدًا، وقد بدأ يكون مقبولًا لديها اليوم» [انظر: الطرازي الحسيني، الإسلام الدين الفطري الأبدي، ج 1، ص 226]. وأمّا مراد هوفمان (Murad Hofmann) سفير ألمانيا السابق في المغرب فقد قال: «ولا يخفى على المتأمّل البعيد الرؤية أن يرى الزحف الإسلامي في القرن الحادي والعشرين مسيطرًا مُمَكَّنًا لانتشاره دينًا لأغلبية البشر» [هوفمان، الإسلام بديلًا، ص 20]. وما هذا إلّا لأنّ الإسلام بنصوصه ومفاهيمه وفكره قد رفض الجمود والتقوقع في زوايا محدّدةٍ، فهو لا يؤمن بالانغلاق؛ ففتح جميع أبواب العلم والمعرفة للولوج فيها، وآمن بموقعية العقل البشري الذي وهبه الله تعالى وزوّده بكلّ مقوّمات الانفتاح العلمي؛ لتصل البشرية إلى النظريات الصحيحة التي تنتفع منها، خصوصًا مع التحدّي من قبل النظريات الحديثة التي ظهرت في الساحة العالمية، ومن أجل تفاعل الإنسان المسلم مع الإنسان في العالم الغربي بكلّ

ما يملكه من رصيد كبير وثقافة متنوّعة في مختلف مجالات المعرفة البشرية، وهو ما أشارت إليه بعض النصوص القرآنية كقوله تعالى ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [سورة التوبة: 33]، ومن أوضح مصاديق الانتشار الإسلامي وعالميته هو ما ورد عن النبيّ محمّد ﷺ في القائم المنتظر والمنجي للبشرية جمعاء قوله: «يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا» [الصدوق، التوحيد، ص 82]، أي جميع الأرض سوف تنعم بالقسط والعدالة في ذلك الوقت وهو مطلب إنساني يحتاجه الجميع، هذه الأقوال كلّها تنبئ بأنّ الإسلام قد بدأ دوره في قيادة العالم الجديد، والمؤشّرات على ذلك كثيرة لمن أراد البحث والتدقيق، وعليه يمكن القول إنّ أيّ مشروع إذا كان يحمل رؤيةً عالميةً وقد أسّس ذلك في كلّ مقرّراته وبنى فكره وهدفه على هذا الأمر، وهو حقيقة كذلك، وليس ادّعاءً، فهذا يعني أنّه قادر على إدارة العالم وقيادته، وهذا الأمر متحقّق في النظرية الإسلامية على أنّها مشروع عالمي جاء لقيادة هذا العالم وإدارته.

## ثالثًا: الأسباب والدوافع في تأسيس عولمة إسلامية صحيحة للفكر البشري

من المعلوم أنّ العالم كلّه اليوم يسير نحو منزلق خطير يهدّد الحياة البشرية في وجودها جميعًا، وينذر بالبلاءات الكبيرة؛ وذلك لأسباب عديدة:

أ ـ أنّ مستوى انحراف المجتمعات الغربية في الاتّجاه الفكري والثقافي قد وصل إلى مراحل متقدّمة جدًّا إن لم نقل إلى نهايتها، وهذا ما نراه في العيان، وقد قرأ الوحي هذا الحال مستشعرًا به منذ القدم إذ قال: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [سورة الروم: 41]، أضف إلى أنّ التطوّر في الغرب لم يقدّم شيئًا للبشرية في الجوانب الروحية والمعنوية بقدر ما قدّمه من الأمور المادّية الدنيوية والنجاحات في الجوانب التجريبية، فهنالك انحلال واضح في المجالات الأخلاقية والمعنوية.

ب ـ قد أصبح الناس في خطر حقيقي يتلاعب في أحوالهم بعض أصحاب النفوذ العالمي والمنظّمات التي تهدف إلى القضاء على أغلب سكّان الأرض، والتي طرحوا فكرتها ويحاولون تطبيقها؛ ولهذا فهم يعتقدون أنّ الموت يقترب نحو الغرب وقد صرّح باترك جوزيف.بات بوكانن (Pat Buchanan)قائلًا: «أمريكا والغرب يواجهون أربعة أخطار واضحة وحاضرة: الأوّل هو أنّ السكّان يموتون[3]. والثاني هو الهجرة الجماعية لشعوب من ألوان مختلفة ومعتقدات

3- راجع كتاب "موت الغرب" للمؤلّف السياسي الأمريكي باترك جوزيف أو ما يعرف بـ "بات بوكانن"؛ فقد فصّل في طرق موت السكّان في أمريكا والغرب.

مختلفة وثقافات مختلفة، وهي تغيّر شخصية الغرب إلى الأبد. والثالث هو ظهور إلى حدّ الهيمنة لثقافة معادية للغرب في الغرب، وهي معادية عداءً مستحكمًا لأديانه وتقاليده وأخلاقياته، وهي قد بدأت قبل الآن تصدّع الغرب. والرابع هو تمزّق الأمم ومروق النخب الثقافية لتنحاز إلى حكومة عالمية [بوكانن، موت الغرب، ص 427]؛ لأنّ الأنظمة الفردية التي سادة العالم وعملت على ترويض الناس من خلال الترغيب والترهيب لم تفلح جميعًا في إيصال البشرية لبرّ الأمان، ولم تعمل على رقيّهم وإصلاح حالهم، بل العكس وصلوا إلى التدنّي والانحطاط.

جـ ـ أنّ العلّة التي من أجلها خلق هذا الخلق - وهي طاعة الخالق واتّباع منهج السماء والانتماء إلى الدين الحقّ ـ لم تتحقّق، وأخذ الناس يبتعدون عن علّة وجودهم يومًا بعد يوم، ولا يوجد نظام متكامل يحقّق الأمن والأمان للناس من الأنظمة الوضعية التي أسّسها الإنسان، سواءً على المستوى الفكري أو العقدي أو غيرهما.

د ـ رغبة بعض الناس بنظام عالمي شمولي لجميع البشرية ولكن كلٌّ ينظر إليه من زاوية محدّدة يتناسب مع مصالحه، ويحقق له أهدافه فـ «في الوقت الذي تموت فيه المسيحية في الغرب فإنّ أساسات الطابق الأوّل من الحكومة العالمية قد وُضِعَت في مكانها من قبل ذلك» [المصدر السابق، ص 442]. والمقصود بموت المسيحية هو موت الدين وإلغاؤه من الغرب ـ مع أنّ الغرب قائم على المسيحية ـ وتأسيس دولة كبرى قائمة على العنصرية ومعاناة الناس، تتنعّم فيها طبقة الأقوياء والأثرياء، وتقاسي فيها طبقة الضعفاء والفقراء، وقد وصف ألدوس هكسلي (Aldous Huxley) هذه الدولة قائلًا: «إنّ الدولة الشمولية الكفء حقيقة ستكون دولةً يسيطر فيها التنفيذيون الأقوياء من الرؤساء السياسيين مع جيشهم من المديرين على سكّان من العبيد الذين لا داعي لقسرهم لأنّهم يحبّون عبوديتهم» [المصدر السابق، ص 147].

هـ ـ إحياء اللادينية في المجتمع الغربي وإفشاء الانحراف الفكري والثقافي ونشر الدراسات الفلسفية التي تقوم على إنكار الخالق وتسفيه علّة الخلق، وهيمنة الإلحاد على الفكر البشري في الغرب بصورة مخيفة.

فكلّ هذه الأسباب وغيرها تقتضي الوقوف في وجه العولمة الغربية والسعي لنشر الفكر الإسلامي الصحيح؛ لغرض أسلمة الفكر البشري، وبالتالي استبدال العولمة الغربية بعولمة إسلامية قادرة على إدارة البشرية بأكمل صورة؛ لأنّ الإسلام قد سعى ومن خلال منهجه ونظامه أن يتجاوز كلّ هذه الآثار، وذلك من خلال:

أ- حاجة الناس إلى نظام قائم على العدالة والمساواة بين أبناء البشر؛ لأنّهم كلّهم لأب واحد، وقد خلقوا من التراب ويبقى التفاضل الوحيد بينهم هو بأمر خارجي كالتقوى مثلًا، فعن النبيّ ﷺ قال: «ألا إنّ الناس من آدم وآدم من تراب، وأكرمهم عند الله أتقاهم» [الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج 4، ص 249]، وعنه أيضًا قال: «الناس كأسنان المشط سواء» [المصدر السابق، ص 257]. وهذا في حقيقته لا يمكن أن يحصل إلّا في ظلّ نظام متكامل عالم باحتياجات الإنسان، قد خطّ نصوصه على وفق نظرية سماوية متكاملة لم يتدخّل البشر في خطّها وسنّها، وهذا متحقّق في النظرية الإسلامية.

ب- أنّ النظام الإسلامي الصحيح يضمن التكامل الأخلاقي والإنساني للبشرية؛ وذلك للأسباب الآتية:

1- أنّ الإسلام يحمل في مسيرته جوانب أخلاقيةً تمثّل أمانًا للبشرية وهدايةً لهم، وقد تكفّل الدين من خلالها بإيصال الناس إلى الجانب المشرق من الحياة، فهو يؤسّس لهم منهجًا أخلاقيًّا وحدويًّا، يقول روبرت ميليكان (Robert Millikan) العالم الطبيعي الأمريكي: «إنّ أهمّ أمر في الحياة هو الإيمان بحقيقة المعنويات وقيمة الأخلاق. ولقد كان زوال هذا الإيمان سببًا للحرب العامّة وإذا لم نجتهد الآن لاكتسابه أو لتقويته فلن يبقى للعلم قيمة، بل يصير العلم نكبةً على البشرية» [الدارمي، سنن الدارمي، مقدّمة المحقّق، ص 58].

2- أنّ العقيدة الدينية قادرة على أن تجعل الأخلاق مؤثّرةً وفاعلةً في الفكر؛ لأنّ الفكر المجرّد لا يصبح عاملًا فعّالًا إلّا إذا تضمّن عنصرًا دينيًّا.

3- أنّ الأخلاق الدينية أقوى من الأخلاق المدنية إلى حدٍّ يستحيل معه المقارنة؛ ولذلك لا يتحمّس الإنسان في الخضوع لقواعد السلوك القائم على المنطق، إلّا إذا نظر إلى قوانين الحياة على أنّها أوامر منزلة من الذات الإلهية. [انظر: أرسطو، كتاب السياسة، المقدّمة، ص 2]

ج- يمكن للدين الإسلامي أن يزيد من اعتقاد الناس بخالقهم وأنّهم لم يخلقوا عبثًا ولم يكن الدين يومًا أفيونًا للشعوب! بل هو عنوان للحياة المتكاملة التي توصل بين طرفي هذا الوجود الدنيا بالآخرة.

د- اهتمّ الدين الإسلامي بالجانب الروحي كثيرًا، كما لم يترك الجانب المادّي؛ باعتبار أنّ الإنسان مركّب من روح ونفس وبدن، فلم يسع لتكامل أحد الجانبين دون الآخر، فهو يسعى لتكاملهما معًا، وهذا ظاهر من خلال خطاباته لكلٍّ منهما.

هـ ـ حافظ الدين الإسلامي على حياة الناس كثيرًا، وتشدّد في نصوصه على ذلك من خلال سنّ قانون القصاص وعدم الإفراط في القتل، وكذلك أسس لمبدإ السلم لا الحرب فقال تعالى: ﴿**وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا**﴾ [سورة الأنفال: 61].

و ـ اهتمّ الدين الإسلامي بالجوانب الفكرية والمناهج العقلية والبرهانية في سلوكياته من خلال:

1 ـ التركيز على "التعقّل والتدبّر والتفكّر والتأمّل" وغيرها للرقيّ بالإنسان إلى مظانّ التكامل الفكري والسعي في السلوك بالمنهج البشري إلى المسار الصحيح، وحصر القوانين الأساسية للحياة البشرية في ثلاثة قوانين أساسية عامّة، وهي: قانون المحافظة على الحياة وقانون تكاثر النوع، وأخيرًا قانون الارتقاء العقلي والروحي. [ألكسيس، تأمّلات في سلوك الإنسان، ص 47]

2 ـ أنّ المنهج الإسلامي لا يقبل بأيّ شيء إلّا إذا قامت الحجّة عليه وإثباته خاضع لإقامة الدليل، فنحن أبناء الدليل أينما مال نميل. [انظر: مرتضى العاملي، البنات ربائب، ص 327]

ز ـ لا يمكن الإغفال من أنّ القرآن الكريم قد وعد بالعولمة الإسلامية من خلال عدّة إشارات ذكرها، وأنّ الوعد الإلهي لا بدّ أن يتحقّق في انتشار الإسلام فكرًا ومعتقدًا في جميع أنحاء الأرض منها:

1 ـ قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ [سورة التوبة: 33].

2 ـ قال تعالى: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾ [سورة القصص: 5].

3 ـ أنّ الله ﷻ قد جعل في هذه الأرض خليفةً كما في قوله تعالى: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ [سورة البقرة: 30]، فلو غضضنا الطرف عن خصوصية الآية وقلنا بالعموم، فهذا يعني أنّ الإنسان بإطلاقه خليفة الله تعالى في جميع أنحاء الأرض، ومن واجب المستخلَف أن يكون تابعًا للمستخلِف فيما يريد، فلا بدّ إذن أن يكون من واجبه هو نشر دينه وهو "الإسلام" في هذه الأرض، وأن يغطّي جميع أنحائها ويظهره على جميع الأديان: ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾ ليتحقّق الكمال الإنساني الذي يريده الله ﷻ، وإصلاح هذه الأرض وعمارتها بالتقوى والإيمان ومحاربة الفساد، وإعادة الأرض الى ما يريده فيها مالكها الحقيقي وهو الله ﷻ.

4 ـ ما قام به النبي ﷺ في بدايات دعوته من إرسال الرسائل لعظماء العالم آنذاك كالنجاشي وقيصر الروم والمقوقس وكسرى عظيم الفرس، ودعوتهم إلى الدخول في الدين

الإسلامي، وغيرها من الإشارات الأخرى المؤكّدة في أنّ الدين الإسلامي لا بدّ أن ينتشر في هذه الأرض. [انظر: المرتضى، رسائل الشريف المرتضى، ج 1، ص 31]

فكلّ هذه الأسباب والدوافع يمكن أن تحرّك المسلمين للانطلاق في تأسيس عولمة إسلامية في جميع أنحاء الأرض.

### رابعًا: الآليات والعوامل الكفيلة بتطبيق العولمة الإسلامية الصحيحة

إنّ أيّ تصوّر لمشروع إسلامي عولمي مستقبلي يجب أن يحظى بالاستقلال الذاتي، أي لا بدّ أن ينطلق في أوّل الأمر من الدين نفسه؛ وذلك من خلال فكّ الارتباط بين المجتمعات الإسلامية والتبعية الثقافية والفكرية للغرب، وهذا يعني بالضرورة أن يعتمد على فكره وثقافته التي يستغني فيهما عن كلّ فكر وثقافة أخرى؛ لأنّ فيهما الكفاية لرفده بكلّ ما يحتاجه، ولكن وقبل كلّ شيء عليه أن يقتحم أسوار الوهم الذي وضعها بعضهم للحيلولة دون تجديد التراث الديني بفهم عصري متطوّر، والإجابة عن كلّ التحدّيات الفكرية والحضارية المرتبطة بالثوابت الإسلامية المنصوص عليها في الرسالة الخاتمة، وأن يبني المستقبل البشري الواعد الذي تتنعّم بمنهله العذب، وأن يقف الفكر الإسلامي سدًّا منيعًا في وجه الانحدارات الفكرية والأخلاقية التي تمرّ بها البشرية جميعًا، وهذا لا يمكن أن يحصل إلّا من خلال نشر الإسلام في كلّ أرجاء المعمورة والوقوف بوجه كلّ منهج أو حركة تهدف للنيل من الناس ومنعهم من التكامل، وهذا يعني البدء بالمشروع العولمي الإسلامي في جميع أنحاء الأرض، وحتّى يتحقّق هذا المشروع لا بدّ من وجود آليّات وعوامل لإنجاحه، ويمكن تقسيمها إلى قسمين بلحاظ الحاجة إلى:

أ ـ آليّات وعوامل آنيّة وسريعة.

ب ـ آليّات وعوامل بعيدة المدى وبطيئة.

أمّا القسم الأوّل فيمكن تلخيصه بعدّة نقاط:

1 ـ بما أنّ هنالك انتشارًا للجالية الإسلامية في الكثير من أرجاء الأرض، فنحتاج إلى وجود مراكز للتواصل مع هذه الجالية، سواء كانت صغيرةً أم كبيرةً، فيما بينها من جهة وبينها وبين المراكز الإسلامية في البلاد الإسلامية من جهة أخرى؛ من أجل الحفاظ على جميع أفرادها وعلى فكرها الديني؛ لتشعر بأنّ هنالك مَن يرعاها ويهتمّ بأمورها.

2ـ يعدّ التواصل الاجتماعي من أسرع الطرق للتواصل بين الأفراد؛ فلا بدّ من التركيز على هذا العنصر وتغذية الشباب المسلم بالفكر الإسلامي الصحيح، والتعريف بالإسلام لدى الشباب غير المسلم.

3ـ الاهتمام بطباعة الكتيّبات الصغيرة التي لا تأخذ قراءتها كثيرًا من الوقت، أو المجلّات والصحف وإن كانت صغيرةً لتوضيح الفكر الإسلامي وبيان أهدافه وغاياته، وطرحه بلغة بسيطة وحضارية وجديدة، بالإضافة إلى العمل على تطوير المناهج المدرسية في البلدان الاسلامية؛ لترق إلى مستوى التحدّيات والمواجهة والثقة بالنفس.

4ـ التواصل المستمرّ والتعاون بين الشباب المسلم وغيرهم من الجاليات الأخرى ـ من دون التأثّر السلبي ـ وإظهار أفضل الأخلاق في هذه العلاقة، واستغلال المناسبات والمهرجانات التي تقام في تلك البلدان، أو تنظيم الفعاليات للتعريف بالإسلام وفكره وبيان منهجه المتكامل.

5ـ تأسيس بعض المراكز العلمية - وإن كانت صغيرة وبسيطة ـ تأخذ على عاتقها إقامة الدورات الدينية وتربية الشباب المسلم المثالي الذي له القدرة على التعامل مع الآخرين من جهة وإقامة الحوارات الفكرية في البلدان غير الإسلامية؛ للتعريف بالإسلام وفكره من جهة أخرى. وهنالك آليات وعوامل أخرى لم نذكرها تجنّبًا للإطالة.

وأمّا القسم الثاني وهو الآليّات والعوامل البعيدة المدى فيمكن إيجازها بنقاط:

1ـ العمل الجادّ من قبل العلماء والمفكّرين الإسلاميين على تجديد الفكر الإسلامي وإظهار النظريات الإسلامية التي تغطّي مناطق الفراغ وطرح الفكر الإسلامي برؤية متجدّدة وفكر متنوّر؛ لأنّ الإسلام حيّ لا يموت ويتلاءم مع كلّ زمان ومكان.

2ـ العمل المكثّف في إيجاد الحلول الواقعية لتوحيد الفكر الإسلامي، بل وتوحيد المسلمين في كلّ البلاد الإسلامية من خلال الحوار بين المذاهب، أو من خلال وجود قيادة إسلامية حقيقية قادرة على توحيدهم في ضمن المنهج الصحيح، والوقوف بوجه الحركات المتأسلمة التي تحاول تشويه صورة الإسلام النظيف.

3ـ بناء المراكز والصروح العلمية الكبيرة الموحّدة في داخل البلاد الإسلامية وخارجها؛ للإشراف على إيصال الفكر الديني إلى جميع البشرية وفتح المكتبات الإسلامية العامّة في الخارج، وتزويدها بالمؤلّفات المترجمة، وبناء العقل الجمعي الإسلامي الذي يكون نواةً للعولمة الإسلامية.

4ـ القيام بالمشاريع الكبيرة والصغيرة التي لها تأثير مباشر على حياة الإنسان الاقتصادية والمعيشية، وتقديم المساعدات للدول الفقيرة، والتوضيح لهم بأنّ الإسلام كما يهتمّ بالجانب الفكري للإنسان أيضًا يهتمّ بجانبه المادي والمعيشي له، فعن رسول ﷺ: «بارك لنا في الخبز، ولا تفرّق بيننا وبينه، فلولا الخبز ما صلّينا ولا صمنا ولا أدّينا فرائض ربّنا» [الكليني، الكافي، ج 5، ص 73].

## خامسًا: الموانع والمعوّقات في تطبيق العولمة الإسلامية الصحيحة

لا إشكال في أنّ أيّ مشروع بهذا الحجم الكبير وهذه الخطورة العظيمة لا بدّ أن تقف في وجه تحقيقه وتطبيقه موانع كثيرة، ومعوّقات مهمّة، وليس بالسهل إقامته في هذا الوقت من دون معوّقات؛ وذلك للأسباب التالية:

1ـ أنّ أغلب المسلمين قد فقدوا في الوقت الحاضر كلّ شيء، حتّى إرادتهم قد سلبت، ومعنوياتهم تدنّت، وليس لهم القدرة على إدارة أنفسهم بأنفسهم من دون تدخّل خارجي.

2ـ وجود الأنظمة السياسية التي فرّقت أبناء المجتمع الواحد، وخطّ الاستعمار الحدود بين الدول بعد أن كان الناس أمّةً واحدةً يجمعها الدين الإسلامي الحنيف؛ لغرض السيطرة والتسيّد عليهم (فرّق تسد)! فالدوافع السياسية التي تحكم البلدان الإسلامية وغير الإسلامية، والمصالح الضيّقة يشكّلان عائقًا يقف في وجه عولمة الفكر الإسلامي؛ فلا بدّ من أن تكون هنالك سلطة سياسية موحّدة تقود المحتمعات الإسلامية وغير الإسلامية.

3ـ كثرة المذاهب الفكرية التي أخذت تغذّي تأجيج الصراعات بين أبناء الأمّة الواحدة، وهذه المسألة من أصعب المعوّقات التي تمنع من إقامة عولمة إسلامية في الوقت الحاضر، فلا يمكن طرح العولمة الإسلامية وبدن الأمة الإسلامية عليل تتصيّده الأمراض، سواءٌ من الداخل أو من الخارج، فلا بدّ من تطبيبه وإشفائه من علله التي تنخر بدنه، ثمّ التحرّك على الطوائف الأخرى.

4ـ أنّ مثل هذا المشروع الكبير يحتاج إلى كوادر متمرّسة وكثيرة، ولا نملك هذه الكوادر في الوقت الحالي، أو أنّ العدد المتوفّر لا يغطّي جميع أنحاء الأرض.

5ـ قد يصعب الحصول على النفقات التي تغطّي هذا المشروع الكبير، خصوصًا نحن نفكّر في العمل على مستوى جميع دول العالم.

6ـ أن تكـون هنالـك سـلطة دينيـة موحّـدة ـ أو على الأقـلّ سـلطة سياسـية موحّـدة ـ تؤمـن بهـذا المـشروع الكبـير وتتكفّـل بـه؛ ليقـع على عاتقهـا التغيـير الحقيـقي للنـاس، وبنـاء العقـل الجمـعي الذي يؤمـن بالأسـلمة العالميـة.

7ـ أنّ الاختـلاف في الهويـة الثقافيـة لـكلّ مجتمـع سـوف يشـكّل عائقًـا آخـر في وجـه أسـلمة فكـر أبنـاء المجتمعـات غـير الإسـلامية، إلّا إذا بنينـا ذلـك على وفـق المشـتركات الموجـودة بـين الثقافـات؛ لأنّ تغيـير الهويـة الثقافيـة للمجتمـع أمـر في غايـة الصعوبـة إن لـم يكـن محـالًا.

وهنالك موانع ومعوّقات أخرى تحول دون تحقّق عولمة إسلامية في الوقت الحاضر.

ولكـنّ هـذا لا يمنـع مـن التحـرّك ولـو بالإمكانـات البسـيطة للبـدء بتأسـيس عولمـة إسـلامية إذا حـان وقتهـا، خصوصًـا ونحـن موعـودون بهـا عنـد ظهـور المصلـح الموعـود في آخـر الزمـان الذي بـشّر بـه الله ﷻ ووعـده بوراثـة الأرض، قـال تعـالى: ﴿**وَنُرِيـدُ أَنْ نَمُـنَّ عَلَى الَّذِيـنَ اسْـتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُـمْ أَئِمَّـةً وَنَجْعَلَهُـمُ الْوَارِثِـينَ**﴾ [سورة القصص: 5]، وبـشّر بـه النـبيّ الأكـرم ﷺ قائـلًا: «يخـرج فيمـلأ الأرض قسـطًا وعـدلًا كمـا ملئـت ظلمًـا وجـورًا» [الصدوق، الأمالي، ص 278]. فسـيأتي ذلك اليـوم الذي تتحقّـق فيـه العولمـة الإسـلامية الحقيقيـة، ويحكـم فيهـا الإسـلام الأرض ومـن عليهـا.

**الخاتمة**

1ـ أنّ حقيقة أيّ مجتمع تكمن في هويته الثقافية والفكرية، فهي إرثه من الآباء، وتشكيلها خاضع في أيّ مجتمع لأسباب عديدة.

2ـ هنالك الكثير من الأسباب والدوافع التي أدّت إلى نشوء العولمة الفكرية الغربية الرأسمالية، وهذه العولمة لها من الآثار والتداعيات التي تشكّل خطرًا على أيّ مجتمع إنساني.

3ـ أنّ للخطاب الديني المعتدل دورًا كبيرًا في انتشار الفكر الإسلامي الصحيح في المجتمعات الغربية وغير الإسلامية.

4ـ أنّ الفكر الإسلامي الصحيح كما له القدرة على أن يكون عالميًّا فله القدرة أيضًا أن يكون عولميًّا في جميع بقاع الأرض.

5ـ هنالك مجموعة من الأسباب والمؤيّدات التي تشكّل عوامل أساسيةً لإنشاء عولمة إسلامية صحيحة، وتوجد آليات كثيرة على المدى القصير أو البعيد في تطبيق العولمة الإسلامية في كلّ أنحاء الأرض.

6ـ يصعب في الوقت الحالي إنشاء العولمة الإسلامية الصحيحة؛ لوجود موانع في تطبيقها، ولكن هذا لا يمنع من الحراك المستمرّ في إنشائها في المستقبل، وقد بشّر بها القرآن الكريم.

**قائمة المصادر**

القرآن الكريم.

أرسطوطاليس، كتاب السياسة، ترجمة أحمد لطفي السيد، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1947 م.

أليكسيس، كارل، تأمّلات في سلوك الإنسان، ترجمة: محمد القصاص، مراجعة محمود قاسم، مكتبة مصر، القاهرة.

أوليري، ديلاسي، الفكر العربي ومكانه في التاريخ، ترجمة: تمام حسان، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ط 2، 1997 م.

ابن زكريا، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، قم، 1404 هـ.

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مذيل بحواشي اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414 هـ.

الأنصاري، فريد، مفهوم العالمية من الكتاب إلى الربّانية، دار السلام، القاهرة، ط 1، 1430 هـ.

الجابري، محمد عابد، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 2، 1990 م.

الخطيب، محمود، النظام المالي والاقتصادي في الإسلام، مكتبة الرشد، السعودية، ط1، 1425هـ.

الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، سنن الدارمي، تحقيق حسين سليم أسد الدارمي، دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية، ط 1، 1421 هـ.

السمالوطي، نبيل محمد توفيق، الدين والبناء العائلي، دار الشرق، جدّة، ط 1، 1401 هـ.

السيد ياسين، عبد المعطى، العرب والعولمة، تحرير: أسامة أمين الخولي، نشر مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 1998 م.

الشهيد الثاني، زين الدين العاملي، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، تصحيح وتعليق محمد كلانتر، منشورات الداوري، قم، ط 1، 1410 هـ.

الصدوق، محمد بن علي، الأمالي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط 5، 1410 هـ.

الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، 1403 هـ.

الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ضبطه وصححه: محمدجعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 1411 هـ.

الطرازي الحسيني، أبو نصر، الإسلام الدين الفطري الأبدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1984 م.

الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع،قم، ط 1، 1414 هـ.

العاملي، جعفر مرتضى، البنات ربائب قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ، دليل ما، طهران، ط 1، 1428 هـ.

القصيبي، غازي عبد الرحمن، العولمة والهوية الوطنية، مكتبة العبيكان، السعودية، ط 2، 1423 هـ.

الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط 5، 1363 ش.

المحنّة،فلاح كاظم، العولمة والجدل الدائر حولها، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمّان، 2002 م.

المرتضى،علي بن الحسين، رسائل الشريف المرتضى، تقديم: أحمد الحسيني، إعداد: مهدي الرجائي، دار القرآن الكريم، قم، 1405 هـ.

المسيري، عبد الوهاب، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، دار الشروق، القاهرة، ط 1، 2002 م.

باترك جيه. بوكانن، موت الغرب، نقله الى العربية: محمد محمود التوبه، مكتبة العبيكان، السعودية، ط 1، 1426 هـ.

بن غربي، ميلود، مستقبل منظمة الأمم المتّحدة في ظلّ العولمة، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2008 م.

خريشان، باسم علي، العولمة والتحدّي الثقافي، دار الفكر العربي، بيروت، 2001 م.

روبرتسون، رونالد، العولمة.. النظرية الاجتماعية والثقافية والكونية، ترجمة أحمد محمود ونور أمين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998 م.

شمس الدين، محمدمهدي، العولمة وأنسنة العولمة، مجلّة منبر الحوار، العدد 237، 1999 م.

عالم الفكر، صادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد الثامن والعشرون، العدد الثاني، 1999 م.

عبد الحميد، محسن، الفكر الإسلامي.. تقويمه وتجديده، مكتبة دار الأنبار، العراق، ط 1، 1987م.

عطية، محمد عبد الرؤوف، التعليم وأزمة الهوية الثقافية، مؤسّسة طيبة، القاهرة، 2009م

عمارة، محمد، العلمانية بين الغرب والإسلام، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الكويت، ط 1، 2003 م.

غليون، برهان، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط 2، 1422 هـ.

ماهر عبد القادر محمد، معالم على طريق الفكر العربي المعاصر، دار الثقافة العلمية، القاهرة، 2002 م.

ماهر عبد القادر محمد، معالم على طريق الفكر العربي المعاصر، دار الثقافة العلمية، القاهرة، 2002 م.

مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

ممدوح محمود منصور، العولمة.. دراسة في المفهوم و الظاهرة و الأبعاد، دار الجامعة الجديدة للنشر، 2003 م.

هنتنغتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ترجمة نجوى أبو غزالة، مجلة شؤون سياسية، بغداد، العدد الأوّل، 1994 م.

هوفمان، مراد، الإسلام كبديل، ترجمة غريب محمد غريب، مجلة النور الكويتية، الكويت، ط 2، 1418 هـ.